مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

كردستان سورية تحت هيمنة حزب الاتحاد الديمقراطي

وحدة الترجمة والتعريب

الكاتب: فابريس بالونش
المترجم: محمد شمدين

8 نيسان/ أبريل 2019

مركـز حرمـون
للدراسـات المعاصـرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية) وعدد من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)، ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعددة في إنجاز برامجه، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

الدوحة، قطر
+974 44 885 996
إسطنبول، تركيا
+90 212 524 0404
harmoon.org

اسم المادة الأصلي	SYRIAN KURDISTAN UNDER THE PYD
الكاتب	فابريس بلانش/ هذا الفصل هو جزء من كتاب (الطائفية في الحرب السورية)، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى 2018 (المترجم).
مكان النشروتاريخه	معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى 2018
رابط المادة	https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/sectarianism-in-syrias-civil-war
عدد الكلمات	
ترجمة	وحدة الترجمة والتعريب في مركزحرمون/ محمد شمدين

فابريس بلانش: * فابريس بالونش، هو أستاذ مشارك ومدير الأبحاث في "جامعة ليون 2"، وزميل زائر في معهد واشنطن.

المحتويات

الوضع الحالي في روجآفا..... 3

تعريف الهوية الكردية والأرض 5

مقاومة التعريب 6

الهوية الكردية في حلب ودمشق..... 7

الاعتماد الاقتصادي على دمشق..... 9

التعامل مع الحسكة بوصفها مستعمرة داخلية..... 9

نقص المياه..... 11

الثروة النفطية 12

ما تزال ضمن المجال الاقتصادي السوري..... 13

الإيديولوجية مقابل البراغماتية الاقتصادية..... 16

هيمنة الاتحاد الديمقراطي 18

صعود حزب الاتحاد الديمقراطي العسكري 18

مسار الاتحاد الديمقراطي إلى الاشتراكية 22

حزب الاتحاد الديمقراطي والولاء العربي 25

الصعوبات المستقبلية في الحكم الذاتي الكردي..... 29

أيًا كان ما سيحمله المستقبل لما تبقى من سورية؛ فقد أصبح ظهور منطقة كردية مستقلة نوعًا ما حقيقة واقعة. ما تزال حدود "روجآفا/ROJAVA"[1] غير مؤكدة، ويمكن أن يتعارض اختلاف المصالح (مصالح الأطراف) للحدود مع الخطوط المتطرفة التي ينادي بها حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD). مع ذلك، يواصل الطرف الكردي البارز جهده في السيطرة على مزيد من الأراضي، ويسعى إلى جمع الكرد كلهم في سورية تحت شعاره، وإلى جعل "روجآفا/ROJAVA" قابلة للحياة اقتصاديًا، مشيرًا إلى أن الانقسام الطائفي في البلاد قد يكون غير قابل للتطبيق في الشمال.

بالنظر إلى تاريخ المنطقة الكردية الحديث، تبرز ثلاثة تيارات: 1- نظام "التعريب" القسري الذي مارسه نظام الأسد على بعض السكان (هذا النهج الذي ربما قد يُلغى من طرف حزب الاتحاد الديمقراطي بـ "حملة إعادة التكريد"). 2- فرض قيود اقتصادية ثقيلة؛ مما يجعل (المنطقة) تعتمد على المناطق التي يسيطر عليها النظام.

3- بروز حزب الاتحاد الديمقراطي وصعوده من رماد الانتفاضة الكردية عام 2004؛ أي: قبل حوالى عقد من الحرب الأهلية الحالية.

وسيدرس كل من هذه الاتجاهات (التيارات) تباعًا، إضافة إلى درس آثارها في الأعمال العدائية الجارية في أجزاء مختلفة من شمال سورية.

الوضع الحالي في روجآفا

في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، أنشأت وحدات الحماية الشعبية (YPG)، الفرع العسكري لحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، بمشاركة عدد من المليشيات العربية المحلية قوات سوريا الديمقراطية (QSD)، ومنذ ذلك الوقت عملت قوات سوريا الديمقراطية على توسيع الأراضي الخاضعة للسيطرة الكردية. في الشمال الشرقي استعادت تلك القوات- التي يقودها الأكراد- مساحات واسعة من أراضي الدولة الإسلامية (ISIS)، بما في ذلك عاصمتا المحافظتين في الحسكة والرقة.

يبدو أن الأساس المنطقي لهذا التوسع يختلف باختلاف مكان حدوثه. وكما شرح في الفصل السابق، فقد تقدم حزب الاتحاد الديمقراطي من قلب منطقته ذات الأغلبية الكردية؛ لانتزاع تلك المناطق التي فيها الكرد أقلية، أو حتى غير موجودين على الإطلاق. وكمثال لهذه الحالات: السيطرة على منبج في صيف عام 2016، حيث كان الهدف إقامة تواصل جغرافي كامل بين المقاطعة (كانتون) في روجآفا (عفرين) والمقاطعات الشرقية (الجزيرة، وكوباني). وفي حالات أخرى، مثل التوجه نحو "عاصمة" الدولة الإسلامية الرقة، يبدو أن الاتحاد الديمقراطي أكثر اهتمامًا بمواجهة التهديدات الحالية والمحتملة على روجآفا من توسيع حدودها.

[1] هذا الفصل هو جزء من كتاب (الطائفية في الحرب السورية)، فابريس بلانش، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى 2018 (المترجم).
https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/sectarianism-in-syrias-civil-war

أيًا كانت الخطط المستقبلية لحزب الاتحاد الديمقراطي، فمع نهاية شهر تشرين الأول/ أكتوبر 2017، كانت قوات سوريا الديمقراطية تسيطر على 25 في المئة من مساحة سورية. تشكل هذه الأراضي موطنًا لنحو 2.5 مليون نسمة، إلا أن نسبة الغالبية الكردية انخفضت إلى أقل من 50 في المئة بعد السيطرة على أجزاء كبيرة من وادي الفرات ذي الغالبية العربية. مع ذلك، ما يزال الكرد يشكلون أغلبية ضئيلة (55 بالمئة) في مقاطعتي الجزيرة وكوباني؛ أي في مناطق روجآفا نفسها، في حين إنهم يشكلون نسبة 100 في المئة من السكان في المنطقة المحيطة بجبل الأكراد (كرد داغ) في مقاطعة عفرين. إذًا، لأسباب ديموغرافية، من المرجح أن لا يكون لدى الكرد الرغبة في ضم المناطق ذات الأغلبية العربية بصورة دائمة، مثل مدينة الرقة. وعوضًا عن ذلك؛ فقد أطلقوا هجومهم هناك بسبب تهديد داعش المستمر على روجآفا. إلا أن خططهم في ما يخص الشدادي، البلدة ذات الغالبية العربية جنوبي الحسكة، أقل وضوحًا، وعلى الرغم من أن السيطرة عليها قد حقق هدفًا واضحًا قصير الأمد (قطع طريق الدولة الإسلامية الرئيسة إلى الموصل في العراق)، فإن البلدة أصغر بـ 15 مرة من مدينة الرقة، ومجاورة لحقل نفطي مهم؛ لذلك قد يقرر الكرد التمسك بها إلى أجل غير مسمى، وهو ما قد يسبب صراعًا طائفيًا[2] محتملًا عليها.

بصورة عامة، قد يظن الكرد أن بإمكانهم تعويض ضعفهم الديموغرافي في بعض المناطق ذات الأغلبية العربية من خلال التطهير العرقي، أو بـ"إعادة التكريد" للكرد المعربين، أو بالتحالف مع القبائل العربية التي ترغب في الوقوف مع اللاعب الأقوى. ويأمل حزب الاتحاد الديمقراطي أيضًا في أن يتحرك نحو مليون كردي من دمشق وحلب إلى روجآفا، إلا أن إقناعهم في القيام بذلك سيتطلب تحسينات جذرية في الوضع الاقتصادي السيئ في الشمال.

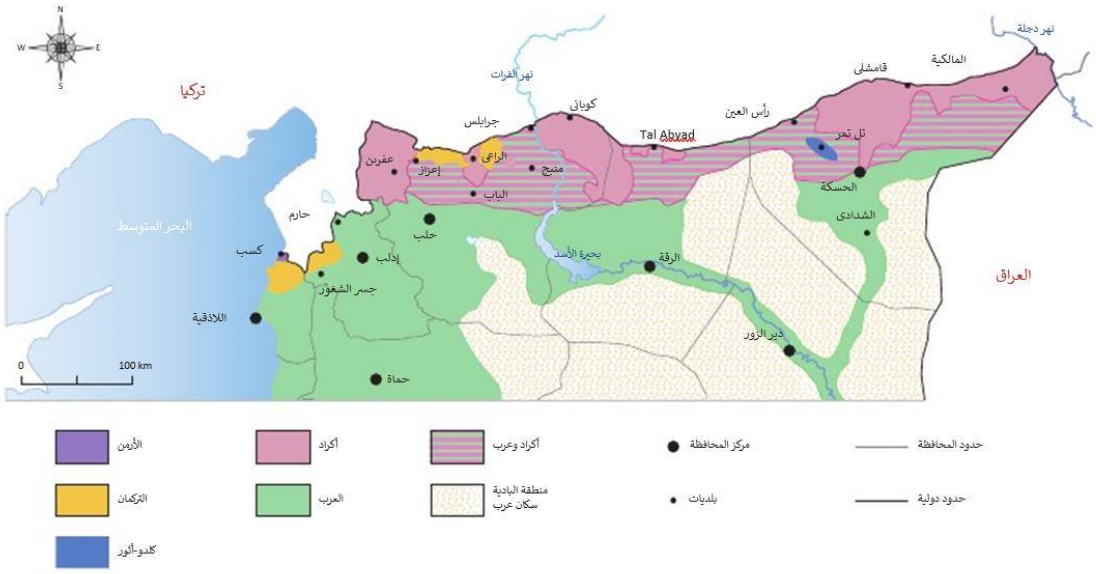

الشكل (1)، التوزع الإثني في شمال سورية.

[2] يشير المؤلف إلى الطائفية هنا، بما هي التعصب السياسي تجاه جماعة، وليس إلى الطائفية بمعناها الديني(المترجم)

تعريف الهوية الكردية والأرض

مثلما ذكرت في الفصل الأول من (كتاب الطائفية في الحرب السورية، سبقت الإشارة إليه) ، فإن دراسة أسماء البلدات على الخرائط السورية قبل الاستقلال، تظهر أن مساحات الأراضي الكردية كانت واسعة؛ فقد كانت هناك تجمعات كردية حتى في قلب المناطق العلوية الساحلية. في القرن الثالث عشر، على سبيل المثال، وطّن السلطان بيبرس القبائل الكردية في منطقة جبل الكرد من أجل تحسين السيطرة على محور حلب- اللاذقية[3]. كما بُنيت المستوطنات الكردية حول القلاع التاريخية، مثل: قلعة صلاح الدين، وقلعة المرقب، وقلعة الحصن التي أطلق العرب عليها "حصن الأكراد" أو قلعة الأكراد، الاسم الذي استمر حتى عام 1950 (استبدل به اسم "قلعة الحصن").

اليوم، السكان الكرد المقيمون في هذه المناطق، عُرّبوا إلى درجة أنهم لم يعودوا يعدون أنفسهم أكرادًا، على الرغم من احتفاظهم بكلمات كردية في لهجتهم العربية. فضلًا على ذلك، تمكنت المجموعات العربية السنية المتمردة من الحصول على موطئ قدم في مثل هذه المناطق خلال الحرب الحالية- بخلاف مناطق الأغلبية الكردية في الشمال- ما يبرز تعقيد أي جهد لتحديد "الأراضي الكردية".

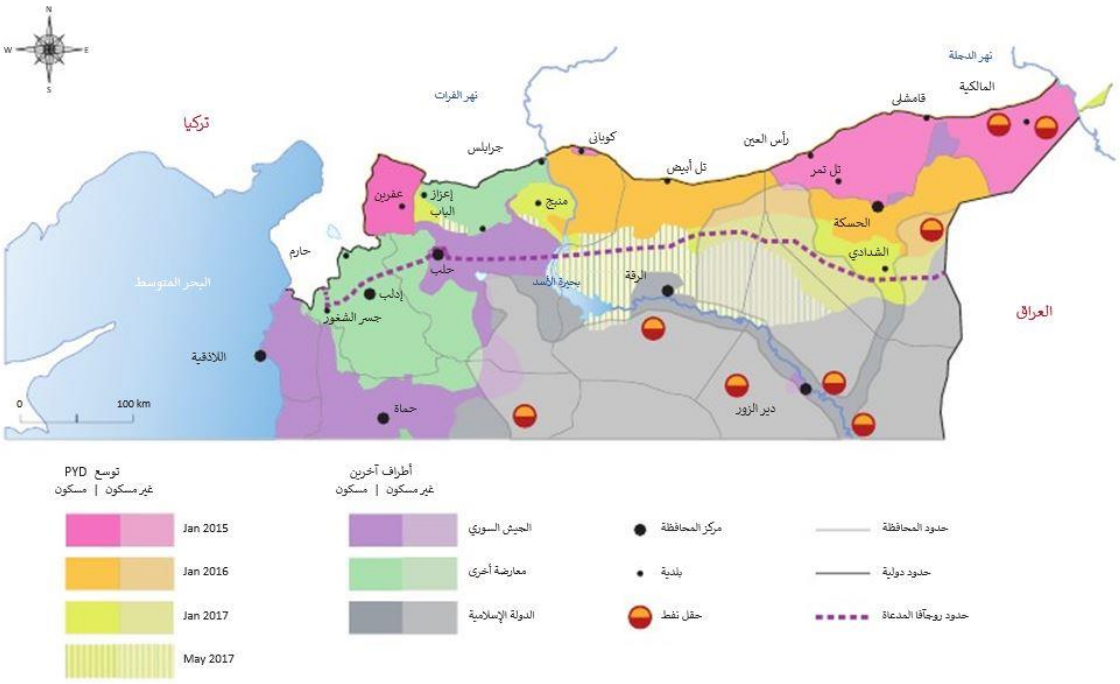

الشكل (2) تمدد حزب الاتحاد الديمقراطي في شمال سورية.

[3]Jacques Weulersse, Le pays des Alaouites [The country of the Alawites] (Institut Français de Damas, 1940).

مقاومة التعريب

بين عامي 1945 و1970، قامت الأنظمة السورية المتعاقبة بشكل منهجي بتعريب أسماء القرى والبلدات؛ من أجل محو أي علامات دينية أو عرقية غير عربية. بلغ هذا الاتجاه ذروته في ظل نظام البعث من عام 1963 إلى 1970. غُيِّرت أسماء مئات القرى الكردية من دون موافقة سكانها، وكان الاسم الجديد في بعض الحالات لا علاقة له بالاسم الأصلي.

يختلف تطبيق هذه السياسة بحسب المنطقة، على سبيل المثال: في محافظة حلب غُيِّر عدد من أسماء القرى الكردية، بينما تركت القرى التركمانية حول إعزاز على حالها! لماذا هذه التفرقة؟ في الحالات جميعها أراد نظام البعث في حلب أن يدعم أقلية على حساب الأقليات الأخرى وفقًا للمبدأ القديم "فرق تسد"؛ لذلك عُرّبت أسماء القرى التركمانية جميعها في محافظة اللاذقية من أجل المحافظة على هيمنة علوي النظام[4].

بينما في الشمال الشرقي كان جهد التعريب محدودًا نوعًا ما؛ لانتشار مساكن المحليين وللعدد الكبير من القرى في المنطقة الذي صَعَب عملية إعادة التسمية؛ لذا استقرت سياسة البعث على تعريب أسماء المناطق المحلية الرئيسة. وقد سلط هذا النهج الضوء على عدم اهتمام النظام بالريف الكردي، الذي كان يُهمل بشكل متزايد مع مرور الوقت. إضافة إلى ذلك، ربما كانت غلبة الهوية الكردية هناك، قد أقنعت القوميين العرب بالتراجع. أيًا كان الأمر، فإن الكرد يشكلون الأغلبية في ثلاثة جيوب شمال سورية: كرد داغ (جبل الأكراد)الذي يشمل بلدة عفرين، ومدينة كوباني (التي تعرف باسم عين العرب) والمناطق الريفية المحيطة بها، إضافة إلى منطقة الجزيرة الواسعة الممتدة من رأس العين إلى نهر دجلة.

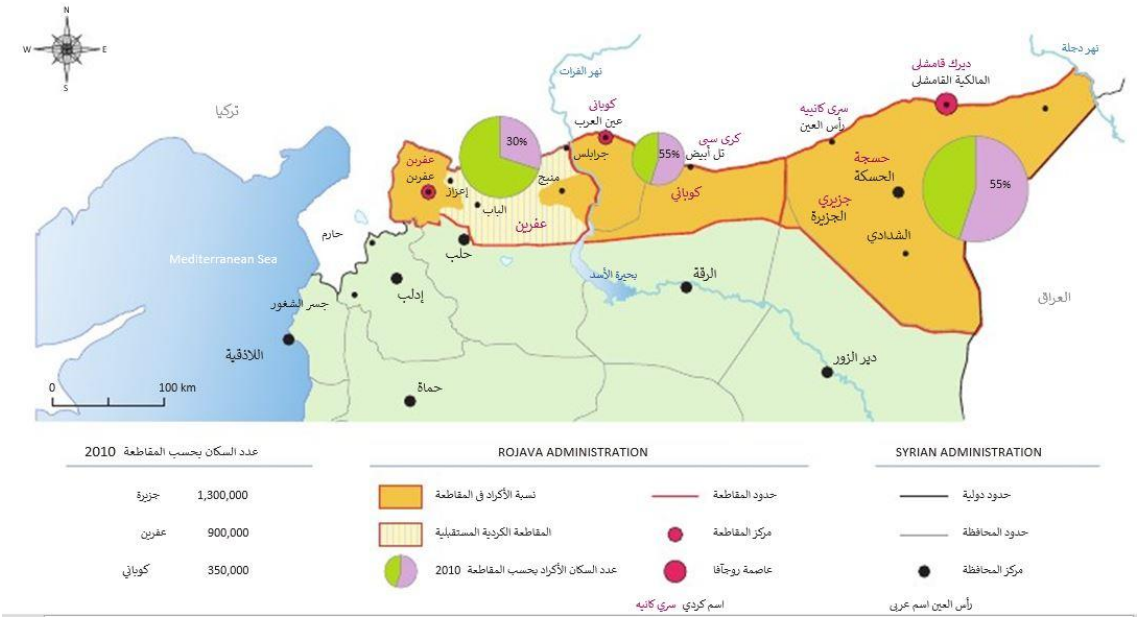

الشكل (3) التوزع السكاني في شمال سورية وتنظيم الإدارات المستقبلية.

[4]Fabrice Balanche, "Clientélisme, communautarisme et fragmentation territoriale en Syrie" [Clientelism, communitarianism, and territorial fragmentation in Syria], A Contrario (March 2009), https://www.cairn.info/revue-a-contrario-2009-1-page-122.htm.

الهوية الكردية في حلب ودمشق

إن وضع خريطة توزيع الكرد في سورية، يثير أسئلة شائكة حول شعور الناس بالانتماء إلى مجموعة عرقية: من الأكراد (الحقيقيون)؟ هل هم أولئك الذين يتحدثون اللغة الكردية؟ إذًا، ماذا عن أولئك الأكراد المستعربين الذين يرون أن الكردية لغتهم الثانية؟ وماذا عن الناطقين باللغتين الكردية والعربية الذين لا يدعون الهوية الكردية؟ ثم ماذا عن أطفال الزيجات المختلطة من الكرد والعرب، وهي تقاليد أسهمت في التخفيف من الهوية الكردية ومن التكلم بالكردية؟

الوضع في دمشق أفضل ما يوضح هذه المعضلة: في حي ركن الدين وبرزة، حيث كثير من قاطني الحيّين هم من الإثنية الكردية، ولكنهم أهملوا الروابط مع قرى أجدادهم منذ ثلاثة أجيال، وهم مندمجون في مجتمع العاصمة. المواطنون الأصغر عمرًا، لا يتقنون اللغة الكردية، كما أن هناك كثيرًا من الزيجات المختلطة. في المقابل، الأكراد في وادي دمر (وادي المشاريع) الذين وصلوا في الثمانينيات عمال بناء للعمل في بناء أحدث أحياء المدينة، يميلون إلى الإقامة في الأحياء الكردية حصرًا، ويبقون مرتبطين بجذورهم الريفية على الرغم من العيش في بيئة حضرية لسنوات طويلات.

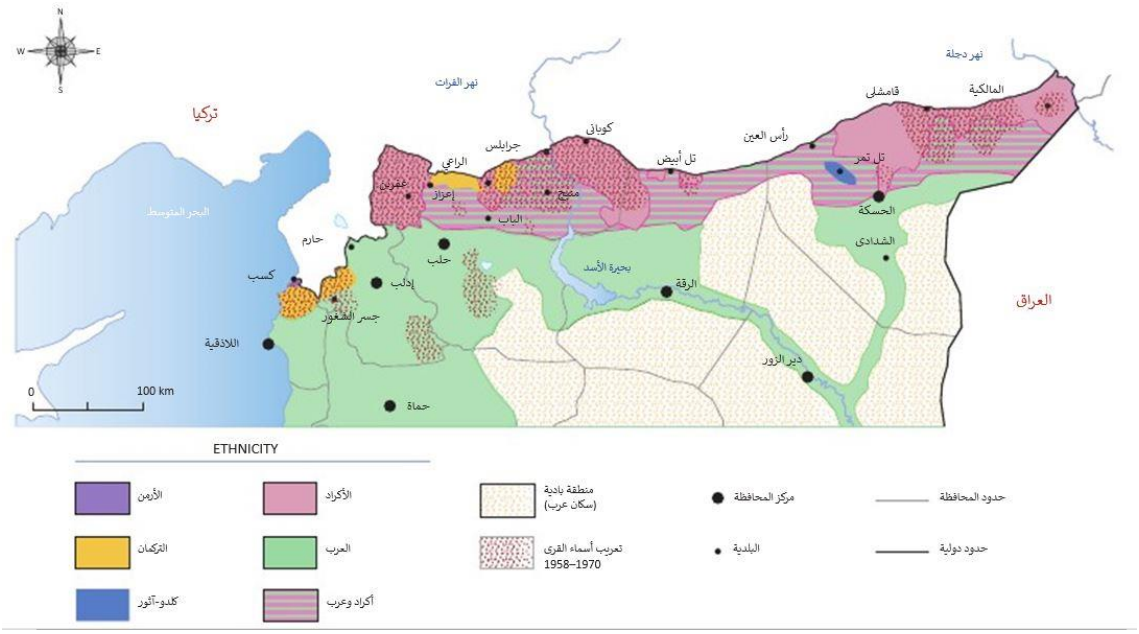

الشكل (4) توزع عملية تعريب أسماء القرى في شمال سورية.

أما بالنسبة إلى مدينة حلب، فإن حي الشيخ مقصود هو مدينة كردية داخل المدينة. لقد كان الكرد يشكلون نحو 20-25 في المئة من سكان مدينة حلب قبل الحرب، وخصوصًا في القسم الشمالي من المدينة. منذ سبعينيات القرن الماضي، شكلت حلب المنفذ الطبيعي للنزوح الريفي لسكان كرد داغ والمناطق الريفية حول كوباني وجرابلس. أكثر الكرد يفضلون هذه المدينة (حلب) ليس لتوافر فرص العمل الكثيرة فقط، ولكن أيضًا لأنها تضم أحياء كردية بأكملها، حيث يشعرون بحرية التحدث بلغتهم من دون تمييز. ولكن، لم

يكن هذا هو الحال في المدن الصغيرة مثل منبج والباب، حيث تبنت الأقلية الكردية مظهر أكثر علانيةً. لقد طورت حلب من البرجوازية التنظيمية الكردية المتجذرة في صناعة المنسوجات وتصليح السيارات في المدينة. حلت محلات تصليح السيارات الكردية تدريجيًا محل تلك التي يديرها الأرمن، في حين تحولت ضاحية الشيخ مقصود إلى منطقة صناعية واسعة غير رسمية، حيث تقوم مئات الورشات الصغيرة بتزويد تجار المنسوجات.

يوضح كل من حيّي وادي دمر والشيخ مقصود قضية تسمية المدن السورية بـ "المختلطة"، أو تمثيلها بوصفها نماذج للتعايش الطائفي. هذه الأحياء- في الأساس- هي مدن كردية صغيرة تختبئ في المدن العربية الكبيرة، حيث بإمكان الساكنين الكرد أن يعيشوا حياتهم كلها بسهولة من دون الالتقاء بأشخاص من الأحياء العربية؛ فهم يتابعون شبكة القنوات الكردية العالمية عوضًا عن متابعة القنوات السورية أو العربية، وبإمكانهم الاكتفاء بتحدث الكردية في حياتهم اليومية؛ بما أن اللغة العربية هي لغة أجنبية تُعلم في المدارس فقط. في الواقع، لقد فشلت الحكومة في تطبيق مناهج خاصة للطلاب الذين لهم لغة أمّ مختلفة؛ لذلك تُدرس جميع المواد باللغة العربية؛ ونتيجة لهذه الفجوة في اللغة، إلى حدٍ ما، فإن العديد من المعلمين المحليين يبذلون أقل الجهد في صفوفهم، التي عادة ما تكون مكتظة بأكثر من أربعين طفلًا؛ بسبب نقص الاستثمار من وزارة التربية والتعليم[5]. وردًا على ذلك، غالبًا ما يتجنب الطلاب الكرد صعوبة التعلم باللغة العربية بالابتعاد عن المدرسة مبكرًا، والعثور على وظائف في كراجات أو ورش عمل. إن مستوى التعليم في هذه الأحياء أقل من المعدل الوطني، ما أدى إلى تقييد وصول الأكراد إلى الخدمات المدنية والوظائف الماهرة في الوقت الذي تحولت فيه المناطق الكبيرة إلى أحياء للأقليات.

مع ذلك، تطورت الطبقة الكردية المثقفة الوسطى في كل من دمشق وحلب على مر السنين، وكان ممثلوها حريصين على الاندماج في المجتمع المدني بصورة أوسع. بالنسبة إلى عدد منهم، كان الحزب الشيوعي السوري وسيلة لهم لتحقيق ذلك. بخلاف حزب البعث، لم يشجع الحزب الشيوعي القومية العربية، يذكر أن السياسي (الكردي) خالد بكداش كان رئيسًا للحزب مدة أربعة عقود[6].

أما على المستوى القومي، فقد واجه مفهوم الاندماج الكردي تحديًا؛ بسبب وجود عبد الله أوجلان، زعيم حزب العمال الكردستاني، الذي فرّ من تركيا إلى سورية في عام 1979. وقد حصل على حق اللجوء في دمشق حتى عام 1998، خلال هذه المدة قام هو (أوجلان) وحزب العمال الكردستاني (في سورية) بشن هجمات -عبر الحدود- داخل تركيا بموافقة ضمنية من نظام الأسد. ساعدت تلك العمليات على نشر أفكار البعثية بين أكراد سورية الذين كانوا من أصل أجنبي، وأن وضعهم "ضيوفًا" (حتى أولئك الذين يحملون الجنسية السورية) منعهم من المطالبة بأي مساحة سياسية في الأمة السورية. في نهاية المطاف طرد النظام

[5]These judgments are based on the author's personal observations and interviews conducted in Syria between 1990 and 2011.

[6]Interestingly, the SCP has been divided between two camps since 1986: a Kurdish faction that supports the official party leadership (which Bakdash's widow assumed after his death in 1995), and a Christian faction that has opposed some of the leadership's policies (e.g., Bakdash's decision to reject perestroika near the end of the Soviet era). The sectarian nature of the split is quite evident and reflects other minority trends in Syria.

حزب العمال الكردستاني تحت التهديد التركي العسكري. لكن، تصور الأكراد كدخلاء لم يتلاش. في وقت سمح رحيل هذه المجموعة في ظهور أصوات سياسية كردية أخرى، استمر نفوذ حزب العمال الكردستاني من خلال حزب الاتحاد الديمقراطي.

ربما كانت انتفاضة الحسكة في عام 2004 (انتفاضة القامشلي) وما تلاها من إجراءات القمع، هي المسمار الأخير في نعش الاندماج الكردي في المجتمع السوري؛ فالتنبؤ بتجزئة البلد عمومًا، مع تراجع الأقليات إلى جذورها الدينية والعرقية (انظر إلى قسم حزب الاتحاد الديمقراطي في هذا الفصل من الكتاب لمعرفة المزيد عن هذه الانتفاضة). بالنسبة إلى كثير من أكراد دمشق الذين شعروا أنهم مضطرون للهرب من البلاد في أثناء الحرب الحالية، كان هذا يعني اللجوء إلى كردستان العراق بدلًا من الدول المجاورة الأخرى، حيث كانوا يظنون أنه سيكون غير مرحب بهم بسبب انتمائهم العرقي.

الاعتماد الاقتصادي على دمشق

المناطق الكردية شمالي سورية تعاني تخلفًا مزمنًا؛ مرتبطًا بسنوات من سياسات التعريب وبالمشكلات الجيوسياسية مع تركيا والعراق. لقد بدأ الانفتاح الاقتصادي البطيء مع أنقرة في عام 2005، ولكن هذا لم يكن كافيًا لعكس الموقف قبل الحرب. ومنذ ذلك الحين إن التجارة الكردية عبر العراق وتركيا قد جعلتها التطورات معقدة أو مستحيلة، ولكن حزب الاتحاد الديمقراطي حافظ على العلاقات الاقتصادية مع منطقة النظام، وهو يأمل في زيادة خيارات التصدير في المستقبل.

التعامل مع الحسكة بوصفها مستعمرة داخلية

على مدى عقود، كانت الحدود السورية مع تركيا والعراق حواجز حقيقية أمام أي نشاط اقتصادي في المحافظات الشمالية؛ حيث لم تكن مراكز الجمارك في القامشلي ورأس العين تعمل إلا لبضع ساعات في اليوم، وكانت القنصلية التركية في حلب أقرب مكان يحصلون منه على التأشيرة. وحتى عام 2008، كان على السوريين التقدم بطلب الحصول على تأشيرات السفر إلى تركيا، وكان أولئك الذين يحملون أسماء كردية أو أرمنية غالبًا ما يعانون التأخير في الحصول على الوثائق الضرورية. ونتيجة لهذه المعوقات، كانت التجارة السورية مع تركيا ضئيلة في الحجم، وكانت- بصورة رئيسة- من خلال باب الهوى غرب حلب، بدلًا من المناطق الكردية على طول الحدود الشمالية.

كذلك، إن الحدود العراقية كانت غالبًا مغلقة؛ لأن البلدين كانا على عداء منذ الستينيات، كان هذا العداء على أشده، إلى درجة أن العراقيين كانوا من تابعية أحد البلدين الوحيدين المذكورين على جواز السفر السوري الممنوع زيارتهما (وكانت إسرائيل هي البلد الآخر). لقد حصل تقارب بين بغداد وسورية في تسعينيات القرن الماضي بعد الحظر الأميركي على بغداد؛ فاستفادت الأسواق السورية من زيادة التجارة. مع ذلك، كان القسم الأكبر من هذه التجارة لا يمر عبر المناطق الكردية الشمالية؛ إذ كانت الشحنات

معظمها من حلب تمر عبر الحدود الشرقية عند مدينة البوكمال، في حين إن تلك الشحنات التي تنطلق من دمشق، كانت تمر عبر معبر التنف في الجنوب.

في ضوء هذه السياسات، عزلت محافظة الحسكة ذات الأغلبية الكردية (التي أصبحت تعرف باسم كانتون الجزيرة في روجآفا) عزلًا كاملًا، على الرغم من أنها تشغل شريطًا طويلًا من الحدود الشمالية والشرقية؛ فقد تعاملت دمشق معها بوصفها مستعمرة داخلية. قبل الحرب، أنتجت الحسكة ثلث نفط سورية، وقطنها معظمه، ونصف حبوبها، ما ساعد دمشق على استقلال البلاد الغذائي[7]. إلا أنه في المقابل، استغلت الحكومة المركزية هذه الثروة لأغراضها الخاصة من دون إعادة أرباح التصدير إلى المنطقة.

أهملت الجهود التعليمية المحلية كذلك. من الناحية التقنية، كان التعليم الأساسي إلزاميًا حتى سن الرابعة عشرة في سورية، ولكن كثيرًا من الأطفال في محافظة الحسكة كانوا يغادرونها قبل ذلك، لمساعدة أهاليهم في العمل الزراعي. كان عشرات الآلاف من سكان الحسكة من الفلاحين الذين لا يملكون أرضًا، ولكنهم يستأجرون للعمل في المزارع الكبيرة؛ لذلك لم يكن باستطاعتهم تحمل نفقات إرسال أطفالهم إلى المدرسة. بحلول عام 2004، أشارت بيانات الإحصاء الحكومي إلى أن الأمية قد وصلت إلى مستوى قياسي؛ إذ وصل إلى 30 في المئة في المحافظة. غالبًا ما يواجه الأطفال الكرد صعوبات كبيرة، في أعقاب التحاقهم بالمناهج الدراسية- التي تفرضها الدولة- التي يتم تدريسها لهم باللغة العربية؛ إذ أنها ليست لغتهم الأم.

كان الفلاحون في الحسكة (وبطرق عدة) في مفارقة تاريخية في سورية، أثناء الإصلاحات الزراعية بين عامي 1963-1970 وبعد ذلك؛ وزعت الملكيات الكبيرة في البلاد معظمها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضًا، لتكون ملكًا لهم. لكن، في الحسكة طبقت هذه الإصلاحات جزئيًا فقط؛ فقد تم الاستيلاء على الملكيات الكبيرة، ولكنها لم توزع على الفلاحين (الموجودين فيها)، وبدلًا من ذلك، استأجرت الدولة عددًا صغيرًا من العمال- عادة من الموالين للنظام- وكثيرًا من العائلات الثرية (ذات العائلات التي كانت تملك هذه الملكيات في السابق)[8]. لم يكن حافظ الأسد يريد أن يستفيد الفلاحون الأكراد من إعادة توزيع الأراضي؛ لأن ذلك كان من شأنه أن يمنحهم ثقلًا سياسيًا غير مسبوق على المدى الطويل. عن طريق تأجير الأرض، أبقى نظام البعث الأكراد في حالة الاعتماد على الدولة مع المحافظة على نفوذ الطبقة السابقة من ملاك الأراضي. استطاع الأسد الحصول على "عمالة" هؤلاء الأعيان من خلال التهديد الضمني بعدم تجديد عقود الإيجار.

كذلك استبعدت الحسكة من التطور الاجتماعي الاقتصادي الذي شهدته المناطق الريفية الأخرى في سورية بعد الإصلاح الزراعي، لا سيما المنطقة الساحلية العلوية. كانت المحافظة متخلفة في الخدمات العامة حتى قبل الحرب. كان نصف التجمعات السكنية المحلية لا يوجد فيها بلديات؛ لذا كانوا يضطرون

[7]"Statistical Abstract 2009," Central Bureau of Statistics, Damascus, 2010.

[8]Francoise Metral, "Le monde rural Syrien à l'ère des réformes (1958–1978)" [The Syrian rural world in the age of reform], in André Raymond, ed., La Syrie d'Aujourd'hui (Paris: National Center for Scientific Research, 1980), http://books.openedition.org/iremam/744.

للسفر إلى عاصمة المحافظة لتلبية احتياجاتهم الإدارية، بشكل أدق أكثر: كان هذا يعني أنه لا توجد آلية يمكن من خلالها تنفيذ التنمية المحلية. بعد ثورة 2004 والقمع الذي تلاها، أطلق النظام خطة لتطوير الحسكة، على افتراض أنه سوف يحد من الاحتجاجات في المستقبل. مع ذلك لم تنفذ هذه الخطة تنفيذًا كاملًا، أطلقت المشروعات، ولكن لم يتم الانتهاء منها، بما في ذلك تلك التي تهدف إلى معالجة مشكلات المياه الملحة.

نقص المياه

ما تزال الممارسات الزراعية في الحسكة تقليدية للغاية؛ لذا عانت المنطقة معاناة كبرى ندرة المياه منذ بداية القرن الماضي، وقد أسهم الاستهلاك المفرط للمياه من الجانب التركي على الحدود في تفاقم المشكلة، ولم يقم نظام الأسد بمحاولة جادة لحلها. بخلاف ما يحدث في وادي الفرات، حيث يحصل المزارعون على مياه وفيرة ورخيصة نتيجة مشروعات الري الكبيرة التي تقيمها الدولة، بينما المزارعون في شمال الحسكة يتزودون بمياه الآبار الخاصة. في السنوات التي سبقت الحرب، أدى الجفاف ومضاعفة أسعار الوقود (بثلاث مرات) الذي يستخدمه المزارعون لمضخات المياه الآلية، إلى انخفاض كبير في المناطق المزروعة في الحسكة[9].

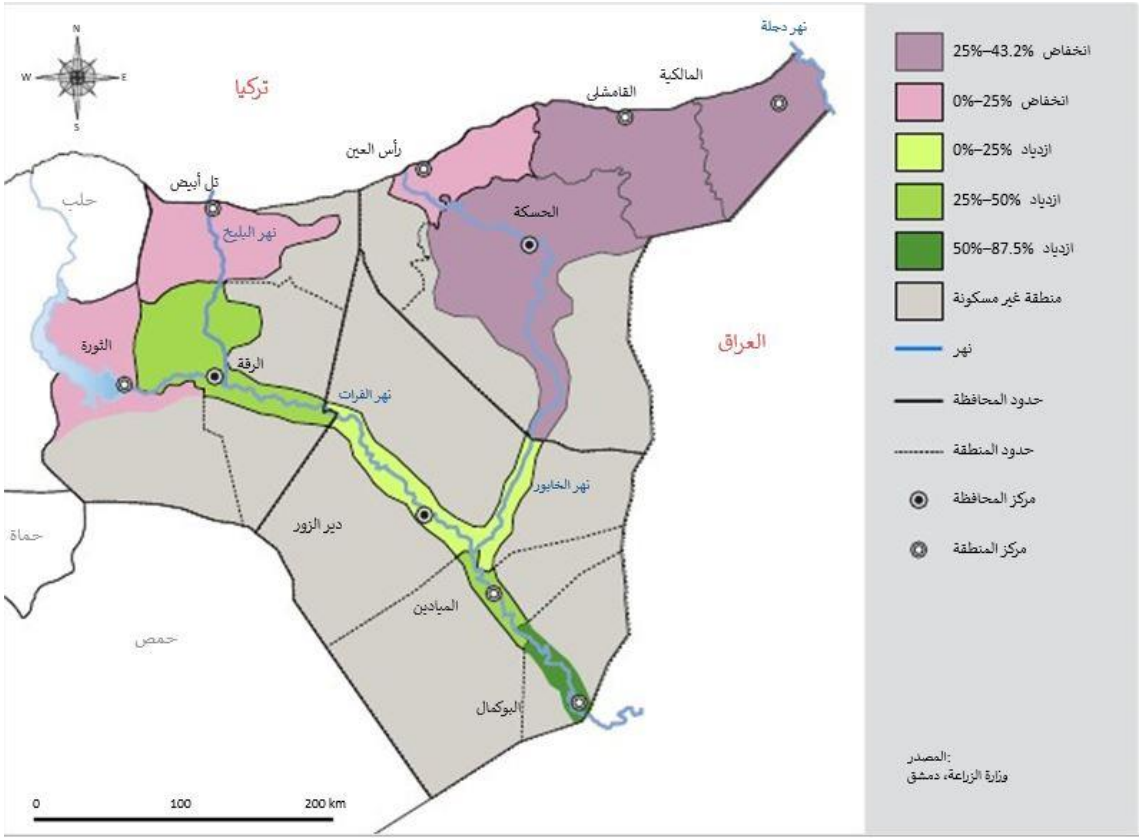

الشكل (5) تغير مساحة الأراضي المروية في شمال سورية بين عامي 2001-2009.

[9]Fabrice Balanche, "Le programme de modernisation de l'irrigation en Syrie" [The modernization of irrigation systems in the Syrian northeast], Méditerranée 119 (2012), https://mediterranee.revues.org/6499.

في عام 2008، تم الإعلان عن خطة ري واسعة تعتمد على المياه التي ستسحب من نهر دجلة، ولكن غياب الإرادة السياسية من دمشق واندلاع الحرب أعاق تنفيذ المشروع. في المستقبل، سوف تكون ندرة المياه المشكلة الرئيسة التي تواجه روجآفا؛ لأن الزراعة هي مصدر الدخل الرئيس للسكان. أشار المسؤولون في الإدارة الكردية في الحسكة/ الجزيرة إلى إنشاء محطة لضخ المياه من نهر دجلة، هو أولوية[10] على الأغلب، ولكن للوفاء بهذا التعهد يتطلب اتفاقًا مع كل من العراق وتركيا قبل الدخول في مشروع على نهر عابر للحدود. حصل بشار الأسد على هذا الإذن من تركيا في عام 2008، لكن الحرب غيرت كل المعايير ذات الصلة. خيار آخر أمام روجآفا، وهو: تطوير خطط الري التي تعتمد على سد الثورة على الفرات، ولكن ذلك من شأنه أن يخلق مشكلات خطرة مع المزارعين، والعشائر العربية الذين يعيشون حول النهر.

إذا ما اختارت روجآفا قطع العلاقات مع نظام الأسد، فإن ما تملكه المنطقة الكردية من أراض صالحة للزراعة، يمكن أن تساعد في الاستقلال الاقتصادي، على اعتبار أن منطقة الحسكة/ الجزيرة لا تزال أكبر منتج للقمح والقطن في سورية. إلا أن مستويات الإنتاج هذه تعتمد على المياه؛ لذلك فالأكراد يحتاجون إلى تخفيض معدلات استهلاكهم للمياه من خلال اتباع تقنيات ري أفضل. ما يزال الفلاحون المحليون يميلون إلى استخدام أنظمة الريّ الخطرة، التي تهدر كثيرًا من المياه. على سبيل المثال: ما دام المزارعون يستخدمون هذه الطريقة في الحصول على متر مكعب واحد من المياه لمحاصيلهم؛ فعليهم سحب سبعة أضعاف هذا المبلغ من مصدرهم. أما في حال وجود نظام الري بالرش؛ فإنهم سيحتاجون إلى سحب اثنين فقط من الأمتار المكعبة[11]. قبل الحرب، كان عدد قليل من المزارعين يستخدمون نظام الرش في محافظة الحسكة، وكانت البيرقراطية السورية تعيق- لسنوات- جهد التحديث. ربما يمكن لمسؤولي إدارة روجآفا أن يثبتوا أنهم أكثر كفاية؛ إذا ما منحوا استقلالية كاملة لتنفيذ خطط الري الخاصة بهم.

الثروة النفطية

تملك منطقة الحسكة/ الجزيرة احتياطات نفطية كبيرة، ويمكن أن تكون إحدى الأصول الرئيسة لروجآفا. في عام 2010، زود كل من الحقلين المحليين في المالكية والشدادي نحو ثلث إجمالي إنتاج سورية البالغ 383 ألف برميل يوميًا[12]. ومنذ ذاك الوقت، انخفض هذا الرقم انخفاضًا كبيرًا بسبب النقص في عمليات الصيانة وإغلاق خطوط أنابيب النقل، ما جعل التصدير متعذرًا. غير أن استعادة النقل بإمكانه منح القوة الذاتية للكرد. بالفعل إن النفط هو مصدر رئيسي لإيرادات إدارة روجآفا، بالنسبة إلى المبيعات

[10]According to author discussions with Abdullilah Arabo, vice president of the Movement for a Democratic Society (TEV-DEM), and Mohamad Dirok, vice president of economic policy for Jazira canton, Qamishli, March 2017.

[11]According to a January 2011 survey conducted by the author under the auspices of the Plan for the Modernization of Irrigation in Syria, a joint venture between the Syrian Ministry of Agriculture and the French Development Agency.

[12]"Syria: International Energy Data and Analysis," U.S. Energy Information Administration, June 24, 2015, https://www.eia.gov/beta/international/analysis.cfm?iso=SYR.

داخل أراضي سيطرة الـ (PYD)، كذلك تصدير كميات صغيرة منه إلى مناطق النظام بواسطة الشحنات. إذا ما تمكنت روجآفا التغلبَ على عائق المواصلات؛ فيمكنها في النهاية تصدير إنتاجها معظمه.

لكن هذه عقبة طويلة. يبدو أن التصدير المباشر عبر تركيا مستحيل، نظرًا إلى عداء أنقرة تجاه حزب الاتحاد الديمقراطي الذي تعتبره ذراعًا لحزب العمال الكردستاني. بدلًا من ذلك، إذا ما أعيد فتح خط الأنابيب الأصلي إلى المحطة الساحلية في بانياس، يمكن للكرد بيع النفط إلى نظام بشار، ولو أن دمشق سوف ترفض بالتأكيد دفع الثمن الكامل " لنفطها". كما يمكن لروجآفا استخدام خط أنابيب كردستان العراق إلى تركيا، على الرغم من أن هذا يتطلب الوصول إلى اتفاق مع بغداد ومع حكومة إقليم كردستان (KRG)، فإن الطرف الموجود في السلطة، هو الحزب الديمقراطي الكردستاني (PDK)، الذي له علاقات سيئة مع حزب الاتحاد الديمقراطي بسبب التوترات المستمرة منذ عقود مع حزب العمال الكردستاني. الجماعات الكردية في العراق وتركيا تتبع أيدولوجيات مختلفة تمامًا، يقودها زعماء أقوياء، يمقت بعضهم بعضًا. ونتيجة لهذا الوضع: التجارة بين أكراد سورية وحكومة إقليم كردستان غير منتظمة، وكذلك فإن التأسيس على فتح طريق لتصدير النفط سيواجه المشكلات نفسها.

ما تزال ضمن المجال الاقتصادي السوري

يمكن أن تتسبب التوترات الكردية العابرة للحدود في مشاكل طويلة الأمد بالنسبة إلى روجآفا وحكومة إقليم كردستان، بوصفها الرابط البري المباشر والوحيد مع العالم الخارجي. كما أن الحدود مع تركيا مغلقة، وأيضًا وادي الفرات معظمه تحت سيطرة تنظيم الدولة (ربما ليس لمدة طويلة) (الكاتب يتحدث عن مدة ما قبل سيطرة قوات سوريا الديمقراطية على شرق نهر الفرات)، وإن إعادة فتح طريق منبج حلب، الذي يمكن عده الطريق البري الخارجي طالما بقيت روجآفا في علاقة جيدة مع نظام الأسد. عندما تواجه الجيش السوري مع حزب الاتحاد الديمقراطي/ قوات سوريا الديمقراطية في جنوب منبج في شباط/ فبراير 2017، وصفتها السلطات الكردية بأنها وسيلة لربط عفرين بالمقاطعات الشرقية. سوف يفضل حزب الاتحاد الديمقراطي أن تسيطر قواته على هذا الممر عوضًا عن الاعتماد على النظام، لكن العمليات التركية في الأسابيع السابقة منعت مسيرة قواته نحو الغرب. مع ذلك، فإن هذا التقدم يمنح روجآفا وسيلة لمنع الضربات السياسية والاقتصادية التي تتلقاها من أنقرة.

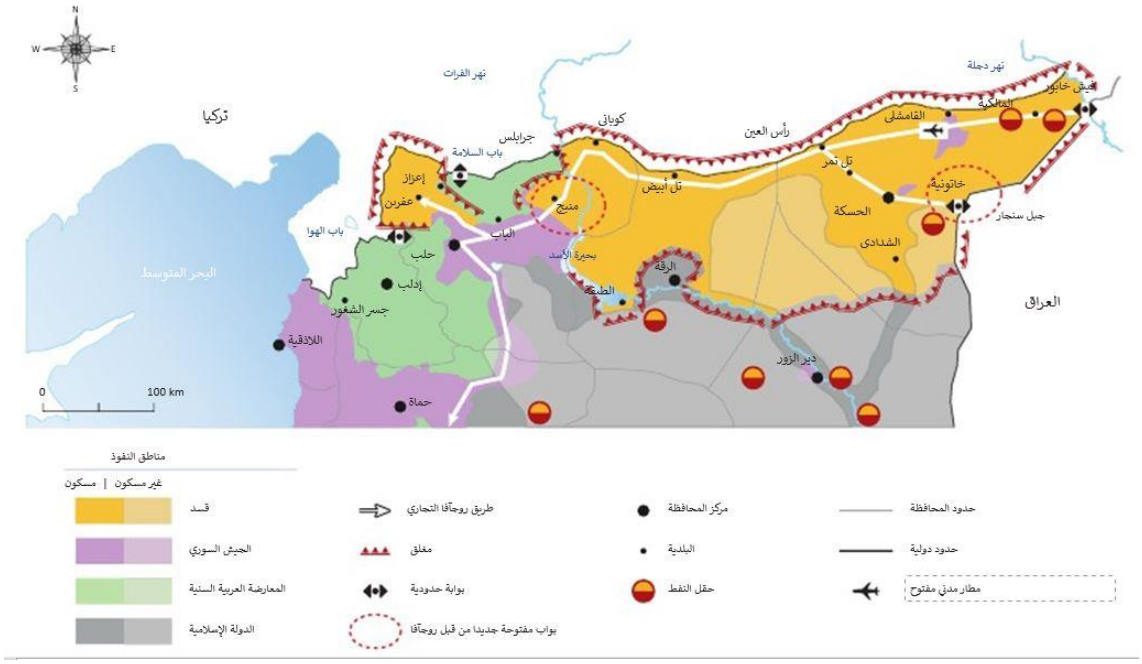

الشكل (6) أكراد سورية يكسرون تطويقهم، نيسان/ أبريل 2017

إن المضي قدمًا في ربط حلب مع منبج سيسهل عملية نقل البضائع بين عفرين وبقية روجآفا. لحسن حظ حزب الاتحاد الديمقراطي أن لدى الأسد مصالح مشتركة في توسيع العلاقات الاقتصادية مع الكرد؛ لذلك فمن غير المحتمل أن يقوم (الأسد) بقطع هذه العلاقات في وقت قريب؛ لأن غرب سورية يحتاج إلى القطن، والقمح، وكذلك إلى منتجات النفط من الحسكة/ الجزيرة، في وقت يحتاج فيه الكرد إلى تصدير هذه المواد الخام واستيراد السلع المصنعة. هذه التطورات سوف تجعل روجآفا أقل اعتمادًا على إمدادات حكومة إقليم كردستان عبر المعبر في شمال شرق سورية مع الحدود العراقية، فيش خابور، ولن يكون الطريق الدولية الوحيدة المفتوحة أمام روجآفا.

بالتأكيد، إن العلاقات التجارية الكردية في زمن الحرب مع غرب سورية كانت مستمرة حتى قبل محاولة الربط مع عفرين في شهر شباط/ فبراير 2017. فقد استمرت السلع في التداول بين مناطق روجآفا والنظام، مع فرض ضرائب من قبل الجيش، والميليشيات المتحالفة مع الأسد، وحتى بعض الجماعات المعارضة/ الجهادية. على سبيل المثال: تنقل الشاحنات محصول الحبوب من الجزيرة إلى مناطق النظام وتدفع عمولة لقوات داعش حيث تمر عبر أراضيها[13]. ولكن، عندما كان يتم تزويد عفرين بالنفط القادم من حقول رميلان في شرق القامشلي، كانت المعارضة المدعومة من تركيا المسيطرة على الطرق بين المنطقتين تصادر نصف الكمية كـ"رسوم" ضريبية. لكن، مع شهر شباط/ فبراير 2017، كان الكرد قادرين على إرسال الوقود

[13]Author interview with a Syrian businessman in Beirut, March 2016.

من خلال الممر (العسكري) المفتوح بين منبج وعفرين عبر حلب. حافظت قوات الأسد على أخذ حصص منخفضة نسبيًا لتحفيزهم (تحفيز الأكراد) على استخدام الطرق الخاضعة لسيطرة النظام.

تسهيل التجارة مع روجآفا ساعد الأسد سياسيًا كذلك، فقد أبقى الكرد تحت تأثيره الاقتصادي في وقت يستفيد فيه هو أيضًا من خلال الشركاء الرئيسين وأعضاء عائلته، مثل: رامي مخلوف، صاحب شركة أجنحة الشام، الشركة الخادمة لخطوط الطيران مع القامشلي. على الرغم من وجود المطار في عمق روجآفا، فإنه ما زال تحت سيطرة القوات السورية. ولم يحاول حزب الاتحاد الديمقراطي السيطرة عليه قط؛ لأنه وسيلة اتصال لا غنى عنها لروجآفا. مع رحلتين يوميتين إلى دمشق محملتين بالضائع الضرورية، ومع رحلتين أسبوعيتين إلى بيروت، ورحلة أسبوعية إلى الكويت[14]. المطار كذلك طريقة سهلة بالنسبة إلى الناس المحليين في السفر إلى الخارج. إن أقرب مطار دولي لهم هو في أربيل، رحلة يوم كامل بالسيارة إلى العراق، وعبور نهر دجلة عند نقطة فيش خابور وهي عملية مضنية؛ لأن المدنيين لا يمكنهم استخدام الجسر الموقت؛ لأنه مخصص لشاحنات البضائع فقط، وتأخذ الإجراءات الجمركية وقتًا طويلًا أيضًا. فوق ذلك، قبل فتح طريق منبج حلب، كان مطار القامشلي هو طريق المدنيين الوحيد في روجآفا للتنقل من منطقة النظام في الغرب وإليها. الآلاف من الطلاب الكرد الذين يذهبون إلى جامعات حلب، ودمشق، وحمص، واللاذقية، يواجهون احتمال عدم القدرة على العودة إلى منازلهم خلال الحرب. كما أن الوصول إلى العاصمة هو أمر ضروري لأسباب طبية – حيث مستشفيات روجآفا ضعيفة في الخدمات والتجهيزات، وأن الأدوية الخاصة بها معظمها تأتي من منطقة النظام[15]. وأيضًا تصل الرواتب والمعاشات الحكومية من دمشق بالطائرة. باختصار: السلطات الكردية لا تملك حتى الآن الوسائل الكافية للاستغناء عن الدولة السورية في العديد من القطاعات؛ لذلك من المرجح أن يفعلوا كل ما هو مطلوب للمحافظة على خطي مطار القامشلي وممر منبج.

[14]Author interview with travel agency that books flights to Qamishli, March 2017.

[15]Author interviews with doctors and pharmacists in Qamishli and Hasaka, March 2017.

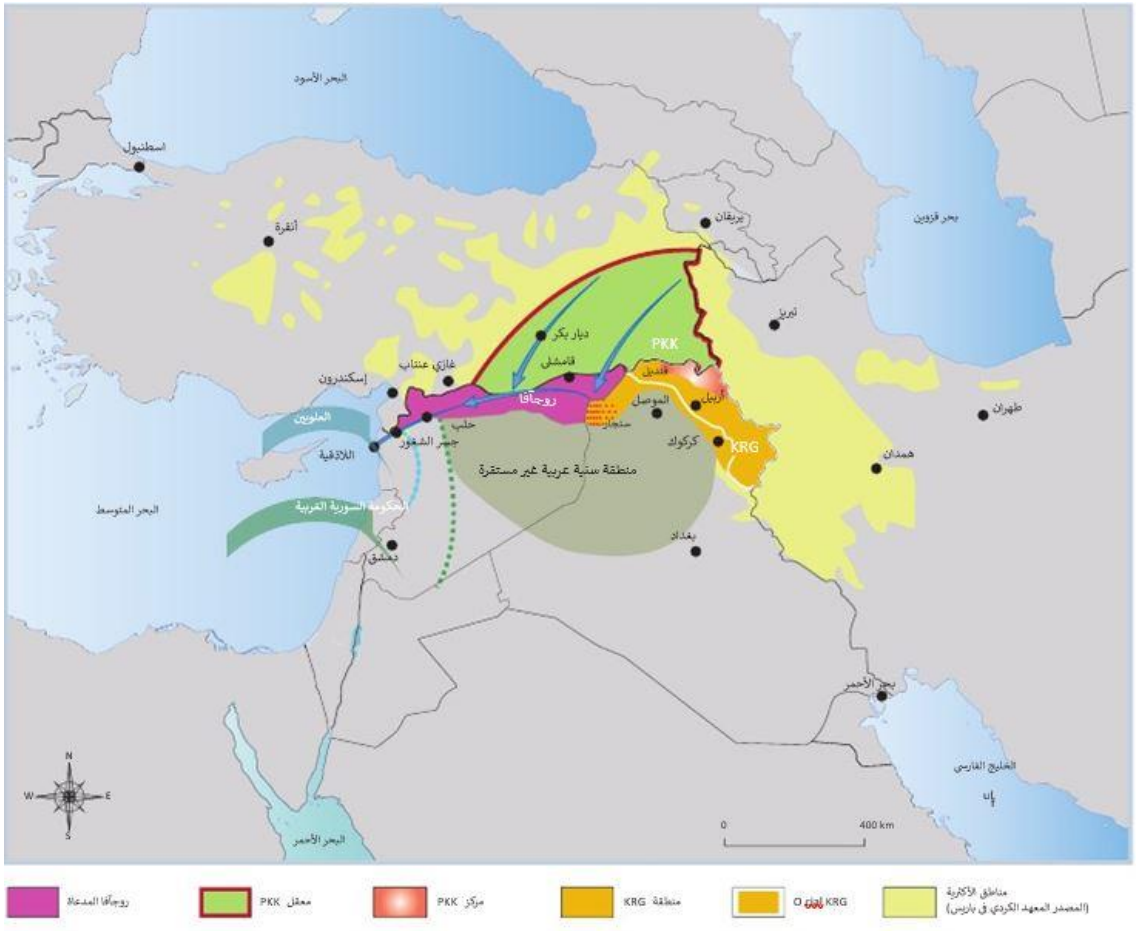

الشكل (7) روجآفا ممر في المستقبل إلى البحر

الإيديولوجية مقابل البراغماتية الاقتصادية

سيطر حزب الاتحاد الديمقراطي على محافظة الحسكة في عام 2012، جاء ذلك بعد انهيار سيطرة النظام على مناطق وادي الفرات التي سيطرت عليها المعارضة. رافق ذلك اضطراب كامل في الاقتصاد المحلي، وبحسب ما تم توضيحه أعلاه، كان دور الحسكة محصورًا في إنتاج المواد الخام، التي تتضمن حوالى 80 في المئة من إنتاج القطن[16]، أو ما يعرف بـ "الذهب الأبيض"، الذي كان يغذي صناعة النسيج القوية في البلاد، وكان يتم تصديره مع تحقيق أرباح كبيرة؛ لذلك فرضت الحكومة على المزارعين نظامًا صارمًا في زراعته، وكانت تستبعد (تمنع) المحاصيل الأخرى معظمها. كانت المكاتب الحكومية تزودهم بالبذور، وتشتري منهم المحصول كاملًا بأسعار تحددها الدولة، كما كانوا يحصلون على أسمدة مصنعة كيماويًا من المصنع الضخم في حمص بتكلفة منخفضة (نسبيًا).

فضلًا على أن إنشاء مؤسسات صناعية محلية، كان ممنوعًا لمدة طويلة في الحسكة. فبينما فتحت الدولة محلجين للقطن هناك، كانت معالجة قطن البلاد معظمه تتم في حلب والمنطقة الساحلية. لا يوجد

[16] "Statistical Abstract 2009," Central Bureau of Statistics, Damascus, 2010.

في المحافظة قطاع نسيج نتحدث عنه، وصناعة الأغذية الزراعية فيها كانت تقتصر على عدد قليل من مصانع الألبان ومصانع الدقيق المخصصة للحاجات المحلية، وما كانت تملك مصافي أو صناعة بلاستيك. غطت محطة رميلان للطاقة الحرارية الحاجات الاستراتيجية المتعلقة باستخراج احتياطات النفط الكبيرة في المحافظة فقط، والكهرباء الموجودة معظمها كانت من سدود البعث وتشرين والثورة على نهر الفرات. من خلال فرض مثل هذه التبعية الاقتصادية، كان النظام يأمل في تجنب أي محاولات انفصالية من جانب الكرد، في تناقض صارخ مع جهده في المنطقة الساحلية/ العلوية التي منحها والد بشار البنية التحتية اللازمة لإنشاء مستعمرة طائفية مستقلة، إذا ما فقد النظام السلطة في دمشق.

منذ تمكنه، بالسيطرة على الحسكة ومناطق أخرى، كان حزب الاتحاد الديمقراطي يضغط من أجل خلق اقتصاد مكتف ذاتيًا؛ لتحرير نفسه من العلاقات غير المتكافئة مع دمشق. في المقابل، هو يرفض الرأسمالية، ويسعى إلى تعزيز فلسفة زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان، الذي طالما دافع عن السياسات الماركسية-اللينينية. ولكن، في هذه اللحظة، هذه الأفكار بإمكانها أن تنفذ على نطاق ضيق في روجآفا فقط؛ لذا فإن المرجح هو أن تشعر السلطات الكردية بأنها مضطرة إلى الاستمرار في فتح أراضيها وتصدير موادها الخام، وتداول تلك المنتجات المصنوعة. المجتمع الكردي في روجآفا يتسم بالمرونة الشديدة، ويمكنه قبول الظروف المعيشية البسيطة، لكن كثيرًا من السكان باتوا يغادرون المنطقة على مدار زمن الحرب. ولوقف هذا النزيف السكاني، سوف يحتاج حزب الاتحاد الديمقراطي إلى تطوير الاقتصاد، الذي يتطلب حركة أكثر في تحرير السلع على المستوى الدولي.

ضمن هذا السياق، إن فتح ممر تجاري ثان مع العراق، سوف يعزز من استقلالية الحكم الذاتي لروجآفا، ويسرع الوتيرة البطيئة للبناء غير المؤكدة للاقتصاد القائم على الاكتفاء الذاتي. إن الطريق الجديد إلى كركوك سوف يكسر اعتماد الحسكة على معبر فيش-خابور الحدودي، الذي هو تحت سيطرة كاملة من جانب الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي يملك مجموعة من العقبات السياسية والعملية. الطريق الجديدة يمكن أن تمر جنوب جبال الأيزيديين، ثم من خلال سنجار وتلعفر غرب العراق، وأخيرًا إلى كركوك عبر وادي نهر دجلة. هذه المنطقة كلها الآن تحت سيطرة الجيش العراقي بالتنسيق مع الميليشيات الشيعية[17].

بالتأكيد، إن احتمال فتح هذه الطريق ليس مؤكدًا بعد؛ فإلى وقت كتابة هذه السطور، ما تزال الدولة الإسلامية حاضرة في جنوب سنجار، في حين يخوض كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني مأزقًا حول أحقية كل منهما في السيطرة على تلك المدينة، رافقها اشتباكات عنيفة بين الطرفين في وقت سابق من عام 2017. فضلًا على ذلك، إن زعيم حزب الديمقراطي الكردستاني والرئيس التركي رجب طيب أردوغان يعارضان أي محور إستراتيجي يفتح الطريق أمام روجآفا إلى العالم الخارجي، الأمر الذي سيعزز أهميتها الجيوسياسية بالنسبة إلى إيران. يقع جزء من محافظة كركوك تحت سيطرة حزب الاتحاد

[17]Dexter Filkins, "Iran Extends Its Reach in Syria," New Yorker, June 9, 2017, http://www.newyorker.com/news/news-desk/iran-extends-its-reach-in-syria.

الوطني الكردستاني، وهو جزء من حكومة إقليم كردستان، ولكنه قريب من محور بغداد-طهران، على عكس حزب البارزاني. فإذا ما أنشأ أكراد سورية طريقًا مباشرة إلى المدينة؛ فإنهم ربما ينشئون علاقة مع إيران في هذه العملية، ربما من خلال السليمانية الواقعة على الشرق من كركوك. نظريًا، يمكن أن تصبح روجآفا طريق العبور الإيراني من العراق إلى غرب سورية وحتى إلى سواحل البحر المتوسط، على الأقل عندما تغادر القوات الأميركية شرق سورية. على الرغم من أن هذه الطريق ليست أفضل طريق محتملة لإيران نحو الغرب، ولكن لها مزية الالتفاف عن معاقل تنظيم الدولة الإسلامية على طول الحدود العراقية السورية، حيث يحتمل أن يلجأ إليها الإرهابيون بعد طردهم من الرقة والموصل. بالطبع هذه السيناريوهات كلها من المرجح أن تصبح أكثر تعقيدًا في أعقاب استفتاء العراقي (استفتاء كردستان) في أيلول/ سبتمبر 2017، الذي أدى إلى رد فعل عنيف على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية[18].

هيمنة الاتحاد الديمقراطي

يهيمن حزب الاتحاد الديمقراطي على المشهد السياسي الكردي في سورية، وأصبح فاعلًا عسكريًا مهمًا في الحرب، يتجاذبه كل من الولايات المتحدة وروسيا. هدفه الرئيسي، هو: توحيد الجيوب الكردية في البلد ثم إعلان استقلالها الذاتي ضمن الإطار الاتحادي لسورية المستقبل. مع ذلك، فإن هذا الهدف، إلى جانب التزامه الواضح بتنفيذ الأيديولوجية الشيوعية لحزب العمال الكردستاني، مليء بالصعوبات، ويمكن أن يضع حزب الاتحاد الديمقراطي على خلاف مع العرب المحليين، ومع صانعي السياسة في واشنطن، ومع مصالح الأعمال الراسخة.

صعود حزب الاتحاد الديمقراطي العسكري

في آذار/ مارس 2004، قام السكان الأكراد في القامشلي بالوقوف ضد النظام احتجاجًا على التمييز والبؤس الاقتصادي والتخلف في منطقتهم. انتشرت الانتفاضة في مناطق كردية أخرى في سورية، بما فيها عفرين، وجرابلس، وكوباني، وأحياء في حلب ودمشق. ردًا على ذلك، أغلقت قوات الجيش الأحياء الكردية في المدن، واعتقل الأمن- بشكل منهجي- من هم فوق سن الخامسة عشرة من الرجال. كذلك أرسلت دمشق الجنرال (العقيد) ماهر الأسد، القائد في الحرس الجمهوري (القائد في الفرقة الرابعة) إلى محافظة الحسكة لقمع التمرد، وذلك بالتعاون مع بعض العشائر العربية التي قام بتسليحها على مر السنين لإبقاء الكرد تحت المراقبة. رسميًا، أدت حملة القمع إلى مقتل 43 شخصًا، وإلى جرح المئات، وأدت إلى اعتقال نحو 2000

[18]Michael Knights and Bilal Wahab, "Resetting U.S. Relations with the Kurdistan Region," PolicyWatch 2886 (Washington Institute for Near East Policy, November 2, 2017), http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/resetting-u.s.-relations-with-the-kurdistan-region.

شخص، إلا أن الأرقام الفعلية ربما كانت أعلى بكثير من هذه الإحصاءات المتحيزة[19]. هرب مئات من الناشطين، بصورة رئيسة إلى كردستان العراق، حيث ما يزالون يتجمعون في مخيمات إلى اليوم (على سبيل المثال: مخيم سيميل في شمال شرق دهوك).

بعد اندلاع الانتفاضة، وعد النظام الأكراد بأنه سيحسن وضعهم الاقتصادي والسياسي، ولكن القليل من هذه الوعود قد نُفذ؛ لقد ظل الاستثمار العام محدودًا جدًا، فقد سمح للمحرومين من الجنسية سابقًا بالحصول على الجنسية السورية في عام 2011[20]. ولكن، يبدو أن عددًا قليلًا من الأكراد قد حصلوا على أوراق الجنسية بعد طلب منهم[21]. التغيير الوحيد الجدير بالملاحظة، هو: تسامح النظام تجاه إنشاء الأحزاب السياسية الكردية؛ لذا شكلت عشرات الأحزاب، معظمها تعتبر امتدادات عشائرية. من وجهة نظر النظام، كان هذا التشرذم مفيدًا في السيطرة على الكرد.

بعد التأسيس الرسمي لحزب الاتحاد الديمقراطي الذي استفاد من تسامح النظام الجديد في توسيع نفوذه، خاصةً في عفرين وكوباني. كان الحزب فرعًا لحزب العمال الكردستاني[22]، الذي فقد نفوذه على أكراد سورية بعد طرد أوجلان وكوادره من سورية في عام 1998، وفقًا للباحث جوردي تيجيل:

"بعد موت حافظ الأسد في عام 2000، تطورت العلاقة بين سورية ورئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان بسرعة، فسلم العشرات من ناشطي حزب العمال الكردستاني المقيمين في سورية إلى السلطات التركية، في وقت كان المقاتلون السابقون- ضمن صفوف حزب العمال الكردستاني- العائدون إلى سورية يودعون في السجن لمدد تتراوح بين سنة وعشر سنوات. وعلى الرغم من هذا السياق الصعب، فقد أنشأ مسلحو حزب العمل الكردستاني (حزب الاتحاد الديمقراطي) في عام 2003، مع هدفين: الهرب من قمع الدولة، والمحافظة على دعم الآلاف من أعضاء حزب العمال الكردستاني والمتعاطفين معه[23]."

أحيت الانتفاضة الوطنية (الثورة السورية) في عام 2011، معاداة الأكراد لسيطرة النظام على شمال سورية. مع تصاعد الاحتجاجات، لم يكن الأسد يريد مضاعفة عدد الجبهات المحتملة التي يواجهها؛ لذا قام بتطبيع العلاقات مع حزب العمال الكردستاني في الربيع، من أجل تهدئة حزب الاتحاد الديمقراطي ومكوناته من الأكراد السوريين. وقد ساعد هذا أيضًا على مواجهة تركيا التي دعمت علانية المعارضة العربية السنية في سورية. كما أن التوقيع على الهدنة في عام 2011 بين طهران والفرع الإيراني لحزب العمال

[19]Jordi Tejel, "Les paradoxes du printemps Kurde en Syrie" [The paradoxes of the Kurdish spring in Syria], Politique Etrangere (Summer 2014), https://www.cairn.info/revue-politique-etrangere-2014-2-page-51.htm?1=1&DocId=94414&hits=10+8+5+.

[20]"Syria's Assad grants nationality to Hasaka Kurds," BBC News, April 7, 2011, http://www.bbc.com/news/world-middle-east-12995174.

[21]Author interviews with bedoon in Hasaka province, March 2017.

[22]Kyle W. Orton, "The Error of Arming the Syrian Kurds," New York Times, June 6, 2017, https://www.nytimes.com/2017/06/06/opinion/syria-kurds-isis-raqqa.html.

[23]Jordi Tejel, "Syria's Kurds: Troubled Past, Uncertain Future," Carnegie Endowment for International Peace, October 16, 2012, http://carnegieendowment.org/2012/10/16/syria-s-kurds-troubled-past-uncertain-future/e2nt.

الكردستاني، حزب الحياة الحرة في كردستان (PJAK)، ساعد أيضًا حزب الاتحاد الديمقراطي؛ لأنه- منذ لك الوقت- سارع نظام الأسد تحت ضغط راعيه الإيراني في التعامل مع حزب العمال الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي بشكل إيجابي.

في هذه الأثناء، بدأ تأثير الحزب الديمقراطي الكردستاني على المشهد السوري يتضاءل، ويرجع ذلك جزئيًا إلى التوتر المستمر بين الحزب العراقي مع العمال الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي. في عام 2011، أنشأ الرئيس البارزاني المجلس الوطني الكردستاني (اختصاره الكردي ENKS)، الذي يهدف إلى جمع الأحزاب الكردية السورية مع استبعاد حزب الاتحاد الديمقراطي بشكل متعمد. في البداية، بدت هذه المبادرة كأنها قوة موازنة قابلة للحياة مقابل الحزب الاتحاد الديمقراطي بفضل الموارد المالية الهائلة التي يتمتع بها الحزب الديمقراطي الكردستاني وعلاقات العمل المعقولة مع بغداد. لكن بحلول عام 2012، كان البارزاني مشتتًا تشتتًا كبيرًا بسبب الصراعات مع المنافسين الداخليين والحكومة المركزية العراقية التي حولت انتباهه وموارده عن سورية.

ولقد استفاد حزب الاتحاد الديمقراطي من هذه العوامل لفرض نفسه أكثر خلال الحرب[24]. وعلى الرغم من تعدد الأحزاب الكردية الأخرى في السنوات السابقات، وعلى الرغم من أن الفصائل المتنافسة معها تعتقد أنها رجعية وعقائدية استبدادية[25]. فإن حزب الاتحاد الديمقراطي الذي يتبنى رسميًا أفكار أوجلان حول التطور في الماركسية-اللينينية، إلى الإدارة الذاتية الاشتراكية، لكن في الواقع، كان الحزب يميل نحو "المركزية الديمقراطية" التي ترقى فعليًا إلى احتكار السلطة. يدعو قادته إلى قيام حكومة اتحادية سورية لتبرير الحكم الذاتي الكردي، لكن عددًا قليلًا من السوريين خارج روجآفا، اقترحوا هذا الخيار بصورة جدية.

لعل الأهم، هو: أن حزب الاتحاد الديمقراطي، هو الحزب الكردي السوري الوحيد الذي يملك ميليشيا خاصة به؛ لذا، كلما حاول (الجيش السوري الحر) أو الجماعات الجهادية مثل (الدولة الإسلامية) السيطرة على المناطق الكردية، انتظر السكان المحليون الحماية من الاتحاد الديمقراطي؛ لأنهم ليس لديهم أي طرف آخر يلجؤون إليه. أسهم الحزب في الدفاع عن مدينة رأس العين ضد المعارضة التي دخلت من جانب تركيا في شتاء 2012-2013[26]، وكانت العملية دفعة قوية لجهده، وبصورة خاصة في تأثيره في محافظة الحسكة.

---

[24]Cyril Roussel, "Les Kurdes de Syrie et le projet du Rojava: rêve éphémère ou espoir durable?" [The Kurds of Syria and the Rojava project: an ephemeral dream or a lasting hope?], Maghreb-Machrek 4, no. 222 (2014), http://www.cairn.info/revue-maghreb-machrek-2014-4-p-75.htm.

[25]"'PYD Political Thought Resembles That of Baath Party': Kurdish Politician," ARA News, May 14, 2014, http://aranews.net/2014/05/pyd-political-thought-resembles-that-of-baath-party-kurdish-leader.

[26]Mohammad Ballout, "Kurds Caught in Crossfire in Northwest Syria Battle," Al-Monitor, November 14, 2012, http:// www.al-monitor.com/pulse/security/01/11/kurds-caught-in-the-crossfire-of-battles-for-northwestern-syria.html.

ما زالت مقاطعة عفرين تحت تهديد جماعات المعارضة غير الكردية وحتى من طرف القوات التركية[27]، ما حفز عددًا من السكان المحليين إلى دعم حزب الاتحاد الديمقراطي عند الضرورة.

أسهم قرار حزب الاتحاد الديمقراطي في تشكيل ميليشيات كردية، خاصة به، في شن هجمات خارج مناطق سيطرته، وأسهم أيضًا في خسارة (الجيش السوري الحر) الأهمية داخل المعارضة السورية. في بداية الحرب، كان لدى (الجيش السوري الحر) عدد من المقاتلين الكرد، ولكن أدت الصادمات مع حزب الاتحاد الديمقراطي إلى وضع هؤلاء المقاتلين في وضع غير مناسب. فقد وصف حزب الاتحاد الديمقراطي هؤلاء المقاتلين المنضوين في صفوف (الجيش السوري الحر) بالخونة لقضية روجآفا. في المقابل، ازداد قلق المعارضة العربية السنية منهم، خاصةً مع بدء سيطرة عناصر متطرفة على التمرد. بحلول عام 2014، كانت جبهة النصرة (حاليًا تسمى هيئة تحرير الشام) مشغولة في القضاء على جماعات المعارضة العلمانية أو استيعابها، وكان المقاتلون الكرد يتركون (الجيش السوري الحر) بشكل جماعي، ويلتحقون بالمقاتلين العرب المشكلين ميليشيا جيش الثوار التي غالبًا ما وجدت نفسها على خلاف مع الجماعات العربية المتطرفة، وفي شباط/ فبراير 2016 لعبت الدور الرئيس في غلق ممر إعزاز من أجل السيطرة على منغ وتل رفعت أمام زملائهم السابقين في المعارضة بمساعدة مباشرة من الجيش السوري والطيران الروسي[28]. في نهاية المطاف انضم جيش الثوار إلى (قوات سوريا الديمقراطية/ قسد)، التي تشكلت من المقاتلين الكرد السابقين في الجيش الحر، وقوات حماية الشعب (YPG) وقوات حماية المرأة (YPJ)، ومن العشائر العربية المحلية.

كانت للمعركة من أجل كوباني (عين العرب) نتائج حاسمة لصالح حزب الاتحاد الديمقراطي، إضافة إلى تعزيز سمعته المحلية، وبما أنه شكل مجموعة متحالفة بشكل رئيس مع واشنطن ضد (الدولة الإسلامية) منذ عام 2015 إلى الآن؛ فقد سبب رعبًا كبيرًا لكل من تركيا والفصائل المتحللة من الجيش السوري الحر سابقًا[29]. لقد مكن التسليح الأميركي، والدعم الجوي وغيرها من المساعدات، قوات حزب الاتحاد الديمقراطي من توسيع مناطق سيطرتها في الشرق، وعزز نفوذها على السكان الكرد. علاوة على ذلك، أُجبرت الفصائل العربية التي ترغب في قتال الدولة الإسلامية في منطقة الفرات على الانضمام إلى تحالف قوات سوريا الديمقراطية بقيادة حزب الاتحاد الديمقراطي، في ما إذا أرادت الحصول على الأسلحة الأميركية. بعض الميليشيات العربية أخذت طريقًا مختلفة في الاعتماد على الأتراك عوضًا عن الدعم الأميركي، على سبيل المثال من خلال دعم أنقرة في أيلول/ سبتمبر 2016 للتدخل في شمال سورية. إلا أن هذا الخيار كان محكومًا أكثر من خيار الانضمام إلى قوات سوريا الديمقراطية؛ لأن "الموالين لتركيا" من المعارضة ملزمون باتفاقاتها مع روسيا.

---

[27]Fehim Tastekin, "Turkey's real target on way to Idlib: Kurds," Al-Monitor, July 2, 2017, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/06/turkey-syria-kurds-real-target-on-way-to-idlib.html.

[28]See Fabrice Balanche, "Kurdish Forces Bolster Assad in Aleppo," Policy Alert (Washington Institute for Near East Policy, July 29, 2016), http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/kurdish-forces-bolster-assad-in-aleppo.

[29]"Erdogan spokesman slams U.S. military for backing Syrian Kurdish militia," Reuters, January 12, 2017, http://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-turkey-usa-idUSKBN14W0MZ.

حرصًا من رغبة روسيا في حماية نظام موال لها في دمشق، قام الكرملين بتقييد مدى انتصار هذه الفصائل في سورية، بينما القوات التي تدعمها الولايات المتحدة حققت تقدمًا إلى العمق في الجنوب كما في دير الزور خلال أيلول/ سبتمبر 2017.

مسار الاتحاد الديمقراطي إلى الاشتراكية

رسميًا، يهدف حزب الاتحاد الديمقراطي إلى نشر نظام سياسي واقتصادي مبتكر في شمال سورية، يعتمد على الاكتفاء الذاتي والديمقراطية المحلية. ولكن تطبيق ذلك محدود؛ لأن القادة الكرد يهتمون أولًا بتوحيد روجآفا ومحاربة تنظيم الدولة الإسلامية. ومهما يكن، إن السلطات الجديدة تعمل على تنفيذ أيديولوجية مستوحاة من حزب العمال الكردستاني أساسًا.

كان عبد الله أوجلان قد كتب سلسلة من الكتب تقترح نموذجًا مجتمعيًا للشعب الكردي، وقد استلهم فكرة (الأوجلانية) مباشرة من المنظر الاجتماعي الأميركي موراي بوكتشين، وهو يساري متطرف، كان قد سعى إلى كسر سيطرة الرأسمالية من خلال "البلديات المتحررة"[30]. كان بوكتشين يعتقد أن الخلل القاتل في الرأسمالية يكمن في صراعها مع الطبيعة، بما معناه تدمير البيئة، ستخلق الرأسمالية من دون شك أزمة كبيرة، وتستهلك نفسها. في كتابه الأول حول علم البيئة الراديكالي[31]. أوصى [بوكتشين] بتطبيق اللامركزية في المراكز الحضرية الملوثة والمزارع الصناعية المليئة بالمبيدات، حتى يمكن للناس العيش على نطاق أصغر، وإنتاج غذائهم محليًا، واستخدام الطاقة المتجددة، وإدارة شؤونهم الخاصة.

من جانب آخر، أوصى بـ (دمقرطة) الأحياء الحضرية من خلال تمكين جمعيات المواطنين، هذه الجمعيات التي تستطيع أن تتحد في مستويات مختلفة: مدينية، ومناطقية، وغير ذلك. وسوف ترسل ممثلين عنها إلى المجالس الاتحادية بغرض التنسيق وإدارة السياسات. حيث تستند السلطة على الناس، الذين يتم تمثيلهم بشكل مباشر من الأسفل إلى الأعلى. مع مرور الوقت، نظريًا، فإن البلديات الاتحادية سوف تصبح ثقلًا موازيًا لدولة القومية، وبشكل طبيعي سوف تزول الرأسمالية. سوف تقوم البلديات بمصادرة الموارد الاقتصادية الرئيسية و"تشرف البلديات" على الاقتصاد، فيسيطر عليه المجتمع.

لم ينجح بوكتشين قط في تعميم أفكاره بين الجماعات اليسارية المتطرفة الأخرى، أو بين الفوضويين، أو بين البيئيين. إلا أن أوجلان أصبح تلميذه الأيديولوجي منذ عام 2004، بعد قراءته عدة كتب له، وهو في السجن. سعى زعيم حزب العمال الكردستاني إلى طرح أيديولوجية جديدة للشعب الكردي بعد التخلي عن الماركسية اللينينية. في عام 2005، في مؤتمر عام لحزب العمال الكردستاني، أصبحت " البلديات التحررية" الـ بوكتشينية الأيديولوجية الرسمية للحزب.

---

[30] لغويًا يعني هو نظام محلي يُدار من طرف البلدية، لمزيد عن الموضوع يمكن مراجعة هذا الرابط https://www.stirtoaction.com/article/fearless-cities : (المترجم)

[31] Murray Bookchin (writing under the pseudonym Lewis Herber), Our Synthetic Environment (New York: Knopf, 1962).

اليوم، يسعى حزب الاتحاد الديمقراطي إلى تطبيق مبادئ أوجلان البلدية في سورية. على الرغم من أن الحزب لا يعتزم رسميًا بناء كيان كردي هنا، إلا أنه يسعى إلى خلق مجتمع ديمقراطي مسؤول بيئيًا في إطار نظام فدرالي.

في عام 2013، بدأ حزب الاتحاد الديمقراطي في إدارة المناطق التي تحت سيطرته من خلال تأسيس حركة المجتمع الديمقراطي (TEV-DEM)، وهو ائتلاف من الجمعيات المدنية والفصائل السياسية، مثل: حزب الاتحاد السرياني (SUP)، وحزب السلام الديمقراطي الكردستاني السوري (PADKS)، وحزب الاتحاد الليبرالي الكردستاني (PYLK). في تشرين الثاني/ نوفمبر 2013، أعلنت (TEV-DEM) إنشاء إدارة مستقلة بها لروجآفا وللمقاطعات الثلاث. في إدارة كل مقاطعة يوجد رئيس وزراء كردي يساعده نائبان، معظمهم من غير الكرد (مثلًا عربي: سني، أو مسيحي). على الرغم من أن حزب الاتحاد الديمقراطي هو حزب كردي صريح يسعى إلى انتهاج سياسة طائفية واضحة، فإن رؤساء وزراء روجآفا حريصون على احترام التنوع.

من المفترض أن تكون المقاطعات الثلاث مدارة من مجلس منتخب يسيطر على المكتب التنفيذي في روجآفا، ولكن هذه الانتخابات لم تجر بعد (حتى كتابة هذه السطور، جدولت حركة المجتمع الديمقراطي أن يكون في كانون الثاني/ يناير 2018). أي انتخابات من هذا القبيل ستكون مخالفة لنموذج بوكتشين الخاص بإنشاء البلديات التي تنتخب المندوبين إلى المجالس الكونفدرالية. في روجآفا، مثل هذه البلديات تعرف باسم الكومون بالكردية(komun)، كل منها يحتوي على 150 منزلًا ونحو 1000 ساكن. يدير المجلس، الكومون المنتخب، العلاقات بين القرى الفردية والسلطات القائمة. مازال المسؤولون الحاليون يديرون الخدمات العامة مثل المياه والكهرباء، حيث إن الإطار الإداري للبلديات ما قبل الحرب لم يختف بعد. بطريقة مثالية، سوف تنشأ البلديات الجديدة بشكل طبيعي من الكومونات، لكن في الواقع توجد الهياكل الجديدة والقديمة بشكل متواز بعضها مع بعض. تقدم البلديات للسكان الخبز والوقود بأسعار منخفضة، كما تشرف على المجتمع المحلي، وتشارك في السياسة التعليمية. وهذا يتوافق تقريبًا مع نموذج "لجان" القرية في الصين الشيوعية.

إضافة إلى ذلك، من المفترض أن تنظم كومونات روجآفا الحياة الاقتصادية عن طريق تشجيع التعاونيات. في الريف، ينظم الفلاحون في مجموعات من خمسة عشر فردًا، ويطلب منهم العمل معًا وتبادل فائض الإنتاج مع التعاونيات الأخرى، من ضمنها التي تكون في المدن. يتماشى هذا العمل مع الهدف من تصميم الكومونات لتحقيق الاكتفاء الذاتي، مع الهدف النهائي المتمثل في القضاء على السماسرة والربويين الذين ظهروا أثناء إنشاء نظام المقايضة.

لكن هناك ما يبرر الشكوك حول المبادئ الكامنة وراء التطبيق على أرض الواقع. حتى وقت قريب، دفع الاضطراب- في أوقات الحرب- السكان في روجآفا إلى تنظيم اقتصاد الكفاف، وأدت العزلة على المنطقة الكردية إلى أسباب عملية لتفضيل الاكتفاء الذاتي. أما بعد فتح المعابر البرية، فلا يمكن تبرير هذه السياسة إلا على المستوى الأيديولوجي.

في القطاع الزراعي، السلطات الجديدة في مقاطعة الجزيرة أرادت خفض حصتها من إنتاج الحبوب والقطن لإفساح المجال للأنشطة التي من شأنها أن تجعل المجتمعات المحلية أكثر قدرة على إطعام نفسها، مثل البستنة وزراعة الأشجار. ولإحداث هذا التغيير؛ فإن التجمعات الكبيرة والأملاك العامة تحتاج إلى تنظيم السكان في التعاونيات. لكن، يبدو أن من غير المرجح أن يتبنى السكان مثل هذا النظام. ربما يغري برنامج (TEV-DEM) الفلاحين الذين لا يملكون أرضًا في الجزيرة، هؤلاء الذين يخطط حزب الاتحاد الديمقراطي لانخراطهم في المساهمة في المجالات الآنفة الذكر، إلا أن ذلك غير مستساغ من المالكين الحاليين، الذين- من دون شك- يفضلون العمل بشكل فردي. علاوة على ذلك، تتطلب البستنة استثمارات شخصية أكبر بكثير من زراعة الحبوب، وهو أمر يتنافى مع الروح الجماعية التي يسعى حزب الاتحاد الديمقراطي على غرسها.

في أثناء ذلك، فإن الصناعة غائبة تقريبًا من كل المقاطعة، ويرجع ذلك إلى أن نظام الأسد فضل إبقاء الأمور على هذا النحو "لأسباب أمنية". كما هو موضح سابقًا: محلجان للقطن في منطقة الحسكة/ الجزيرة فقط، ولا توجد مرافق صناعية كبرى أخرى. لملء هذه الفجوة وتلبية الاحتياجات المحلية، فإن السلطات في الاتحاد الديمقراطي سوف ترغب في تطوير الصناعات الغذائية الزراعية والصناعات التحويلية. كما أن السعي في جذب المستثمرين الأجانب إلى نموذج لنظام مضاد للرأسمالية سوف يكون صعبًا.

إن تطبيق نظرية أوجلان ما يزال متواضعًا في المجال الاقتصادي في روجآفا، كما أن الاتحاد الديمقراطي يدرك أنه يخاطر بتنفير جزء كبير من السكان، لا سيما أولئك الذين احتموا به خوفًا من الدولة الإسلامية فقط. إن فتح معابر برية مع مناطق نظام الأسد شجع على عودة التصدير المربح للحبوب والقطن. فضلًا عن أن البضائع الصناعية من مناطق النظام من المرجح أن تغرق أسواق روجآفا قبل أن يتطور أي إنتاج محلي فيها. من ثم، ربما تلجأ السلطات المحلية إلى الحمائية (نظام الحماية الجمركية) في الدفاع عن اقتصاد المقاطعة، ربما من خلال فرض تعريفات، أو قطع التعامل مع أسواق غرب سورية.

إذا ما فشل النظام الاقتصادي التعاوني لحزب الاتحاد الديمقراطي بسبب هذه الضغوط، فإنه سيكون للحزب خياران اثنان: إرغام السكان المحليين على قبول النظريات الأوجلانية، أو الإعلان عن "وقفة/ مهلة" في التنفيذ بسبب أوضاع الحرب، مثلما فعل فلاديمير لينين مع السياسات الاقتصادية الجديدة للاتحاد السوفياتي في عام 1920. في السيناريو الأول، إن "تعميم" الاقتصاد في روجآفا سوف يستتبع مصادرة الممتلكات التي تخص مجموعات اجتماعية معينة، وهي الدوائر التي تصنف من معارضي حزب الاتحاد الديمقراطي. وبعد مصادرة هذه الممتلكات سوف يعاد توزيعها على قاعدة الحزب الخاصة، بهدف تعزيز نفوذه والقضاء على نظام الأسد. مثل هذا الجهد سوف يشير أيضًا إلى عقلية انفصالية، على الرغم من النموذج الفدرالي لحزب الاتحاد الديمقراطي الذي يعمل على ترويجه بشكل واسع.

وفي السيناريو الثاني، " الوقفة" في الاقتصاد الجماعي من المحتمل أن تحفز حزب الاتحاد الديمقراطي على التخلي على نيته في تغيير مجتمع روجآفا، وزيادة تطبيع العلاقات مع دمشق بدلًا من ذلك. وستعاد المقاطعات الكردية حينئذ إلى الفضاء الاقتصادي السوري، وسيتم رفع المعوقات أمام المبادرات الخاصة.

أيًا كان النهج الذي سوف يختاره الحزب، فإن السكان المحليّين- الأكراد وغير الأكراد- سوف يكونون أكثر ميلًا إلى قبول السعي وراء شكل من أشكال الحكم الذاتي إذا ما تحسنت ظروف معيشتهم.

حزب الاتحاد الديمقراطي والولاء العربي

كثيرون من سكان المناطق التي يسيطر عليها الاتحاد الديمقراطي ليسوا من الأكراد؛ لذا على المجموعة أن تنتبه إلى معالجة أي إشارة لثورة طائفية داخلية، إذا ما كانت تأمل في الحفاظ على سيطرتها على روجآفا. هذا على الأرجح يعني أن الإدارة الذاتية سوف تسمح للسكان المحليين العرب بالإدارة الذاتية، والامتناع عن أي محاولات للإجبار على التكريد. في الوقت الحالي، تبدو سياسة الحوكمة لحزب الاتحاد الديمقراطي مرنة بما يكفي لاستيعاب مثل هذ النهج، ولكن بمحض هزيمة الدولة الإسلامية؛ أي: عندما يختفي العدو المشترك، فإن بناء علاقات قوية مع العرب داخل روجآفا سيشكل تحديًا كبيرًا.

في تقدمهم نحو الجنوب باتجاه الرقة وجوارها، حصلت قوات سورية الديمقراطية على دعم إضافي من العشائر العربية المناهضة للدولة الإسلامية. هذه القوات انضمت إلى القوى المتحالفة التي يقودها حزب الاتحاد الديمقراطي، ليس لأن هناك تقاربًا متأصلًا، ولكن لأن قوات سورية الديمقراطية هي المورّد الوحيد للأسلحة الأميركية.

من جانبه، سعى الجيش الأميركي إلى تجنب تكرار خطأ تدريب القوات العربية؛ لرؤيتها تفشل فقط، إلا أن التناقض في تصريحاته حول عديد الفصائل العربية المنضوية في قوات سورية الديمقراطية هو أمر محير. في 31 آب/ أغسطس 2017، قدر الجنرال ستيفن تاونسند، قائد القوة المشتركة لعملية العزم الصلب، أن العدد الكلي لقوات سورية الديمقراطية هو 50 ألف مقاتل، وأشار إلى أن نصفهم من العرب[32]. وفي 8 كانون الأول/ ديسمبر 2016، ذكر المتحدث باسم القوات الجوية، الكولونيل جون دوريان، أن 13 ألف مقاتل هم من العرب فقط، من قوات سوريا الديمقراطية المقدر عددها 45 ألف مقاتل[33]. فيما قدر آخرون أن المقاتلين العرب أقل من ذلك بكثير. ولكن، حتى لو كانت أرقام دوريان دقيقة، فقد مثلت زيادة كبيرة بشكل مفاجئ منذ إنشاء قوات سوريا الديمقراطية في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، عندما كان العرب يشكلون فقط 5000 من أصل 30 ألف مقاتل[34].

[32]U.S. Department of Defense, press briefing by Lt. Gen. Townsend via teleconference from Baghdad, August 31, 2017, https://www.defense.gov/News/Transcripts/Transcript-View/Article/1297228/department-of-defense-press-briefing-by-general-townsend-via-teleconference-fro.

[33]U.S. Department of Defense, press briefing by Col. Dorrian via teleconference from Baghdad, December 8, 2016, https://www.defense.gov/News/Transcripts/Transcript-View/Article/1025099/department-of-defense-press-briefing-by-col-dorrian-via-teleconference-from-bag.

[34]"Kurdes et Arabes créent les Forces Démocratiques de Syrie" [Kurds and Arabs create Syrian Democratic Forces], L'Orient le Jour, Oct.r 12, 2015, https://www.lorientlejour.com/article/949062/kurdes-et-arabes-creent-les-forces-democratiques-de-syrie.html.

إن الاختلافات في أرقام دوريان وتاونسند تعود إلى الاختلاف في توقيت التصريحات. إلا أن من الصعب التصديق أن هناك 25 ألف مقاتل عربي موجودين حاليًا ضمن صفوف قوات سورية الديمقراطية؛ لأن ذلك يعني: أن عدد المقاتلين الأكراد قد انخفض من 32 ألف مقاتل في كانون الأول/ ديسمبر 2016 إلى 25 ألف مقاتل. كما أن إرجاع هذا الانخفاض إلى خسائرهم في معركة الرقة ليس قابلًا إلى التصديق، على الأرجح الجيش الأمريكي لا يريد تحديد العدد الحقيقي للمقاتلين العرب؛ لأنهم لايزالون أقلية. أيًا كان السبب، فإذا ما تحصلت قوات سوريا الديمقراطية على 5 آلاف مقاتل بين كانون الأول/ ديسمبر 2016 وآب/ أغسطس 2017 (من 45 ألفًا إلى 50 ألفًا)، وإن كان جميعهم من العرب، فيكون عدد المقاتلين العرب 18 ألف مقاتل على الأغلب، نحو 36 في المئة، وهي نسبة بعيدة عن "النصف". من الناحية الواقعية، بعض المجندين الجدد كانوا من العرب فقط؛ لذا فإن نسبتهم الحقيقية هي الثلث ضمن قوات سوريا الديمقراطية.

في آب/ أغسطس 2016، مع إطلاق عملية جديدة للمعارضة المدعومة من تركيا باسم عملية درع الفرات، أدى إلى انشقاق في صفوف قوات سورية الديمقراطية، حيث تركت عددًا من القبائل العربية، في شمال غرب سورية، التحالف الذي يقوده الاتحاد الديمقراطي، والتحقت بالحملة (درع الفرات)، التي كانت من بين أهدافها الأخرى. سعت تركيا إلى تحييد الإثنية التركمانية عن قوات سوريا الديمقراطية، حيث كان لديها المال والتسليح، وكان تقدمها في ذلك يعتمد على مدى قدرتها في جذب مزيد من العرب من قوات سوريا الديمقراطية، إلا أنها كانت تفضل المقاتلين التركمان وتعاملهم أكثر من العرب، وأيضًا على عمق قرارها في التدخل في سورية. أعلن عن نهاية عملية درع الفرات رسميًا في آذار/ مارس 2017 بالسيطرة على الباب، لكن أنقرة ما زالت تأمل في دفع قوات سوريا الديمقراطية إلى شرق نهر الفرات. كانت هناك حملة تركية أخرى جارية منذ تشرين الأول/ أكتوبر، رسميًا ضد الجهاديين العرب في محافظة إدلب، ولكن في الحقيقة كانت ضد الاتحاد الديمقراطي في معقله في عفرين[35]. يمكن أن يؤدي الدعم التركي الانتقائي لبعض الفصائل العربية إلى إحياء حرب قبلية من أجل السلطة المحلية وتأخير الانتصار النهائي ضد (داعش).

إذًا، بالنسبة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي، السؤال الكبير، هو: كيفية المحافظة على ولاء حلفائه العرب على المدى الطويل؟ وقد عالجت المجموعة جزئيًا هذه القضية من خلال السماح للحكم الذاتي العربي في أجزاء من روجآفا، وإشراك القادة المحليين العرب في المجالس مع الاحتفاظ بالسلطة العسكرية لنفسها. كانت الانقسامات العربية القبلية، واحتكار قوات سورية الديمقراطية دعم الولايات المتحدة، قد أبقت عددًا من العشائر بعيدًا عن معاداة الاتحاد الديمقراطي. في عفرين، تبدو المجموعة أنها تتلقى الدعم من روسيا[36]، ما أعطى العرب المحليين هناك مزيدًا من الحوافز للمشاركة معها. مع ذلك، تستمر المعارضة

[35]Aron Lund, "Turkey Intervenes in Syria: What You Need to Know," IRIN, October 9, 2017, https://www.irinnews.org/analysis/2017/10/09/turkey-intervenes-syria-what-you-need-know.

[36]Fehim Tastekin, "Is Turkey rattled by Russian-Kurdish deal?" Al-Monitor, March 24, 2017, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/03/turkey-syria-russian-troops-arrive-afrin.html. See also Barbara Slavin, "Syrian Kurdish

في اتهام حزب الاتحاد الديمقراطي بالتورط في التطهير العرقي ضد السكان العرب والتركمان في روجآفا، ولم يبادر قادة المجموعة بتبديد هذه المخاوف إلا جزئيًا. كان واضحًا سعي الكرد إلى تعزيز ثقلهم الديموغرافي في روجآفا. في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، شجبت منظمة العفو الدولية (Amnesty) منع حزب الاتحاد الديمقراطي بعض القرويين العرب النازحين من العودة إلى منازلهم بالقرب من تل أبيض وتل تمر[37]. وردًا على ذلك، ادعى الحزب أن كان عليه تأمين المنطقة أولًا؛ لأن القوات الموالية للدولة الإسلامية ما زالت قريبة، ما يجعل مستحيلًا عودة المدنيين بأمان. بحلول آذار/ مارس 2017، كانت ما تزال قرية تل فويضة العربية بالقرب من تل تمر فارغة[38]. هذا التجمع السكاني كان قد دعم الدولة الإسلامية خلال شباط/ فبراير 2015 ضد القرى الأشورية على طول نهر الخابور، وعندما انسحبت الدولة الإسلامية، تبعها السكان العرب. يبدو أن العملية نفسها قد جرت في محيط تل أبيض عندما حررتها قوات سوريا الديمقراطية من سيطرة الدولة الإسلامية في حزيران/ يونيو 2015.

يمارس الأكراد، من دون شك، عمليات التطهير العرقي في حالة كان العرب المحليين يساعدون المقاتلين الإسلاميين على تهجير الأكراد، أو الاستيلاء على ممتلكاتهم. ففي ربيع عام 2013، بعد طرد قوات الاتحاد الديمقراطي من تل أبيض، خرب مقاتلو الدولة الإسلامية القرى الكردية حول المدينة، وطردوا المدنيين الكرد من المقاطعة. وقد أدت هذه الأفعال إلى الانتقام عندما استعاد حزب الاتحاد الديمقراطي من جديد السيطرة على المدينة في عام 2015، على الرغم من التطمينات التي عكسها قائد المجموعة صالح مسلم في مقابلة له في عام 2013، كان مسلم قد صرح بأن ميليشياته تقاتل الجماعات الجهادية، ولكنها لن تجبر العرب المحليين، سواء أكانوا من السكان الأصليين أم من القادمين:

"هناك ثلاثة تصنيفات للعرب الذين هم بيننا: هناك أولئك الذين عشنا معهم دائمًا وحاربنا معهم. ندافع عن الأخوة بيننا وبين هؤلاء. هناك من لا ينتمون إلى المنطقة، العرب الذين أتوا من الخارج، أو من بلد آخر أو من منطقة أخرى، وهم الجهاديون الذين أحرقوا منازلنا وقتلوا الأكراد. أخيرًا، هناك العرب الذين جلبوا بالقوة من طرف حافظ الأسد... لتعريب المنطقة. هم أيضًا ضحايا... ونحن ندعو إلى حل سلمي لهؤلاء السكان. هؤلاء الذين بإمكانهم إما العودة إلى قراهم ومسقط رأسهم، أو يمكنهم العيش بسلام مع الأكراد[39].

---

leader: Moscow wants to work with us," Al-Monitor, October 8, 2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/10/kurdish-leader-pyd-russia-support-syria.html.

[37]"'We Had Nowhere to Go': Forced Displacement and Demolitions in Northern Syria," Amnesty International, October 13, 2015, http://www.amnesty.org/en/documents/mde24/2503/2015/en.

[38]Based on the author's observations during a visit to the area.

[39]"Kurds Seek Autonomy in a Federal Syria: Top Official," Agence France-Presse, December 2, 2013, http://www.mei.edu/content/kurds-seek-autonomy-federal-syria-top-official.

كان مسلم يشير إلى "الحزام العربي" الذي أنشئ في الستينيات، عندما نقل النظام السكانَ العرب من منطقة الرقة إلى قرب الحدود التركية. شملت هذه الخطوة نقل نحو 25 ألف شخص على الأكثر، عدد قليل نسبيًا بالنظر إلى عدد سكان روجآفا الحالي البالغ عددهم نحو ميلوني نسمة[40]. مع ذلك، أدت سياسة نظام البعث إلى تأجيج التوترات الطائفية بشكل غير متناسب على مدار عقود من الزمن، بإظهاره المحاباة تجاه العرب المحليين وإهمال التجمعات الكردية. من دون شك إن مثل هذه التوترات تعقد محاولة حزب الاتحاد الديمقراطي للهيمنة في المنطقة اليوم.

كذلك، يمكن للديناميات الاقتصادية أن توسع الخلافات العربية/ الكردية. في الوقت الحالي، تعاني روجآفا حظرًا اقتصاديًا من طرف تركيا وحكومة إقليم كردستان. لقد دفعت القيود العديد من الأكراد من الطبقة الوسطى إلى الهجرة، ما سمح لحزب الاتحاد الديمقراطي باكتساب القوة من خلال متابعة السيطرة على اقتصاد الطبقة العاملة المتجذر في الصناعات اليدوية والزراعية. بالنسبة إلى أولئك الأكراد الذين فضلوا البقاء في روجآفا، فإن قبول التضحيات المادية يعد تكلفة مقبولة للعيش في منطقة يحكمها أقارب لهم في حزب الاتحاد الديمقراطي. مع ذلك، السكان العرب لا يشاركون هذا الشعور؛ لذلك سوف ينقلبون عن طيب خاطر ضد الحزب إذا ما ظهرت بدائل سياسية أو اقتصادية أخرى. برز انتقاد ضد الحكم الكردي في منبج[41]. بعد أن انتزعتها قوات سورية الديمقراطية من داعش في صيف 2016، كان على الأغلب بسبب تقييد تركيا من وصول المساعدات الإنسانية إلى المنطقة[42]. في المقابل، تم تشجيع وصول هذه المساعدات من طرف أنقرة، بعد أن هزمت تركيا داعش في جرابلس في آب/ أغسطس 2016. لا شك في أن أنقرة تريد أن تُظهر لسكان منبج وتل أبيض الخاضعين لسيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) أن بإمكانهم التمتع بحياة أفضل تحت قيادة غير كردية[43] . 2017 اغتيال عضو مجلس منبج الشيخ شلاش غانم[44] يوضح مدى نزوع المنطقة نحو العنف.

باختصار، البيئة المحلية معقدة، وأية إجراءات يقوم بها لاعبون خارجيون يمكن أن يكون لها تداعيات غير متوقعة. فبينما الأسلحة والأموال قد تجمعان تحالفًا ضد داعش، فإن تحقيق الاستقرار بعد ذلك سيكون تحديًا كبيرًا. لن يكون بناء علاقات أفضل بين الأكراد والعرب أمرًا سهلًا، لكن هذا هو السبيل الوحيد لتفادي الاشتباكات الطائفية المستقبلية في الشمال.

---

[40]Jordi Tejel Gorgas, "Les Kurdes de Syrie, de la 'dissimulation' à la 'visibilité'?" [The Kurds of Syria, from "concealment" to "visibility"?], Revue des mondes Musulmans et de la Méditerranée 115-116 (December 2006), https://remmm.revues.org/3022.

[41] According to a June 2017 author interview with a Manbij resident who had been staying at a refugee camp in Lebanon since 2016.

[42]"Manbij Civilian Council calls for international aid for IDPs, warns of humanitarian disaster northern Syria," ARA News, May 20, 2017, http://aranews.net/2017/05/manbij-civilian-council-calls-for-international-aid-for-idps-warns-of-humanitarian-disaster-northern-syria.

[43]Haid Haid, "Post-ISIS Governance in Jarablus: A Turkish-led Strategy," Chatham House, September 2017, https://www.chathamhouse.org/publication/post-isis-governance-jarablus-turkish-led-strategy.

[44]"Arab tribal leader killed in bomb blast in Syria's Manbij," ARA News, July 22, 2017, http://aranews.net/2017/07/arab-tribal-leader-killed-bomb-blast-syrias-manbij.

الصعوبات المستقبلية في الحكم الذاتي الكردي

ما تزال هناك أسئلة كثيرة حول مستقبل روجآفا، وأجوبتها معظمها تعتمد على كيفية تعامل سلطات المنطقة مع التصدعات الطائفية المحلية. تمتد المنطقة على شريط رفيع طوله 800 كلم، تحده من الشمال تركيا المعادية، ومن الجنوب السكان العرب الذين يرفضون حتى الآن الاعتراف بانعكاس السلطة لصالح الأكراد. السكان الكرد لا يشكلون الأغلبية في منطقة وادي الفرات، حيث تقاتل قوات سورية الديمقراطية ضد الدولة الإسلامية؛ لذلك من غير المحتمل أن تقوم سلطات روجآفا بضم تلك المنطقة بعد الرقة. مع ذلك، يفضلون أن تكون القبائل العربية التي تتولى السيطرة هناك على استعداد للمحافظة على علاقات جيدة مع روجآفا. إضافة إلى القضاء على تهديد داعش، من المحتمل أن يكون هذا سببًا رئيسًا لنشر قوات سورية الديمقراطية في وادي الفرات، من أجل تنمية الحلفاء العرب وتمكينهم.

في داخل روجآفا، فرض الاتحاد الديمقراطي نفسه بالقوة بنجاح، ومن خلال الخوف من داعش. والآن بعد أن تلاشى التهديد الأخير، فإن المجموعة تحتاج إلى تشكيل حكومة قابلة للحياة مع التفكير في المخاطر الرئيسية الكامنة في إلزام السكان بمشروع اشتراكي مماثل للثورة الثقافية الصينية في الستينيات. لا يمكن للمرء إلا أن يكون متشككًا بشأن استدامة مثل هذا النموذج للنظام الاقتصادي، حتى لو كان السكان على استعداد لقبول قوانين تتبع المسار الذي نظر إليه أوجلان.

على المستوى الجيوسياسي، يبدو أن الاتحاد الديمقراطي قد وقع في طريق ضيق بين الولايات المتحدة وروسيا. الدعم الأمريكي ضد داعش سمح للجماعة الكردية بتقوية قبضتها الإقليمية، واسترضاء العرب المحليين، وإخماد عناصر المعارضة الكردية المخالفة التي يدعمها الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي. إلا أنه، من غير المؤكد فيما إذا واشنطن سوف تستمر في دعم حزب الاتحاد الديمقراطي عندما يتم القضاء على الدولة الإسلامية، وخاصةً في ضوء الروابط الكردية مع حزب العمال الكردستاني، وهي جماعة تصنفها الولايات المتحدة في قائمة الإرهاب وتخوض مع تركيا- حليفة الناتو منذ السبعينيات- حربًا ضده. من المرجح أن تحرض روسيا بالتهديد التركي ضد روجآفا إذا ما فشل الأكراد في التوافق مع الفصائل العربية داخل مناطقها أوخارجها. في الوقت نفسه، تبدو موسكو حريصة على إبقاء حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) في الملعب (وإن كان في شكل ضعيف) لأن المجموعة وسيلة مفيدة ضد نظام الأسد وأنقرة.

بالنسبة إلى المشروع الفدرالي المقترح من طرف حزب الاتحاد الديمقراطي في سورية، فإنه محض (chimera/وهم[45]) يبدو الأكراد مهتمين به فقط كوسيلة لإقامة حكم روجآفا الذاتي، في حين إن المعارضة العربية السنية ونظام الأسد يرفضان ذلك تمامًا. في الحقيقة، قادة حزب الاتحاد الديمقراطي يركزون على زيادة حالة النعمة التي حصلوا عليها من خلال القتال ضد داعش. إنهم يسارعون إلى ترسيخ سلطتهم وإضفاء الصبغة الكردية على روجآفا، كما يتضح من طرد كل السكان العرب المعادين، ومن يدعمون

[45] كِمِير: مخلوق يذكر في الأساطير اليونانية، له رأس أسد وجسم شاه وذنب أفعى .وتستخدم كلمة كمير لتصف هذا المخلوق، أو لتدل إلى الوهم أو السراب أو الحلم الذي لا سبيل لتحقيقه.

داعش (سواء بشكل مباشر أم بشكل ضمني) وفرض المناهج التعليمية الكردية. وبالنسبة إلى العرب (أو للسكان المحليين) الذين يريدون أن يتلقى أطفالهم التعليم باللغة العربية، يجب عليهم مغادرة روجآفا (يسمح للمدارس المسيحية الخاصة بالتدريس باللغة العربية ولكن فقط للمسيحين[46]؛ وهذه السياسة هي طريقة حزب الاتحاد الديمقراطي في المحافظة على صورته حاميًا للمسيحيين).

يعتمد مستقبل روجآفا على قدرة حزب الاتحاد الديمقراطي على المناورة بين واشنطن وموسكو، والحصول على فوائد من الطرفين كليهما مع تجنب التحركات العسكرية التي تنفر أيًا منهما. مع ذلك، فإن هامش الخطأ من طرف المجموعة ضئيل للغاية. أظهر تدخل تركيا في آب/ أغسطس 2016 في جرابلس، مدى السرعة التي يمكن أن تفقد بها روسيا الصبر مع الأكراد. والتدخل الذي أطلقته أنقرة في شمال إدلب في تشرين الأول/ أكتوبر 2017 بالقرب من حدود عفرين، مثال آخر على تنسيق روسيا مع تركيا غير المناسب لحزب الاتحاد الديمقراطي. عداء تركيا سوف يجعل من الصعب على الأكراد السوريين تحقيق مستويات تنمية مماثلة لحكومة إقليم كردستان في العراق. وإذا ما ساد نظام الأسد في نهاية المطاف على التمرد العربي السني وأعاد السيطرة على المزيد من سورية، سوف يضطر الأكراد إلى الانسحاب إلى معاقلهم العصبوية في عفرين وكوباني والقامشلي، حيث قد يتمتعون ببعض الاستقلالية، ولكن يتعين عليهم استخدام الطرق التي يسيطر عليها النظام في التواصل بين مقاطعاتهم.

[46] Author interview with Christian authorities in Qamishli, March 2017.